مجلة الدراسات الفلسطينية، المجلد 19، العدد 76 (خريف 2008)، ص 58

مقابلات
خالد مشعل في حوار شامل

أجرى المقابلة: معين ربّاني*

I موقف "حماس" تجاه القضايا الراهنة**

■ شرح ممثلون عديدون لحركة "حماس" في مختلف المناسبات أسباب اعتذار الحركة عن المشاركة في جلسات الحوار من أجل المصالحة بين "حماس" و"فتح" التي كان من المقرر أن تعقد في القاهرة في 2008/11/9، والتي أدى اعتذار "حماس" عن حضورها إلى تأجيلها إلى أجل غير مسمى.
ومع ذلك، نرجو أن نسمع منك شرحاً موجزاً ومتكاملاً للأسباب وترتيبها في الأهمية.

□ كي يعرف القارئ الكريم أسباب اعتذار الحركة عن المشاركة في جلسات الحوار التي كان مقرراً عقدها في القاهرة في 9 – 2008/11/10، لا بد من أن يعرف رؤية "حماس" لموضوع المصالحة ومستلزمات نجاحها.
وتتلخص هذه الرؤية في النقاط التالية:
1 – أن تشمل جميع الملفات المتداولة في الشأن الوطني الداخلي، وأن تكون رزمة كاملة تُطبَّق كلها وحدة واحدة ومن دون اجتزاء، وفي الضفة والقطاع على حد سواء، وهي:
أ – تشكيل حكومة وفاق وطني.
ب – إعادة بناء الأجهزة الأمنية في الضفة والقطاع معاً على أسس مهنية ووطنية.
ج – إعادة بناء منظمة التحرير الفلسطينية وفق آلية محددة وزمن محدد.
د – إجراء المصالحات الوطنية على المستوى الشعبي لمعالجة تداعيات الانقسام وآثاره.
و – الاتفاق على إجراء الانتخابات الرئاسية والتشريعية وفق موعد وآليات وضمانات محددة.
2 – أن يتم ذلك من خلال حوار حقيقي، يأخذ وقته اللازم والكافي، لبحث مختلف التفصيلات لتلك الملفات أولاً، ثم يكون إقرارها وتوقيعها، وليس العكس، فهذا منطق الأشياء. ودور الراعي أن يوفر الأجواء المواتية والحرية للفرقاء الفلسطينيين ليتحاوروا في مكان واحد ولعدة أيام، وما يتوصلون إليه في المحصلة يتم الاتفاق عليه، ويُعلَن في تتويج عام لمصالحة حقيقية تحت الرعاية الكريمة.
3 – ليس مقبولاً وضع شروط سياسية جديدة من أي طرف، فما اتفقنا عليه فلسطينياً من برنامج ومحددات سياسية في وثيقة الوفاق الوطني سنة 2006، واتفاق القاهرة سنة 2005، واتفاق مكة سنة 2007، كاف كأساس لأي مصالحة وترتيب للبيت الفلسطيني. لذلك نرفض من يريد جعل المصالحة على قاعدة تجريم المقاومة وسلاحها وتبرير اعتقال رجالها، وعلى قاعدة شروط الرباعية وغيرها من الالتزامات التي هي موضع خلاف في الساحة الفلسطينية، كالاعتراف بإسرائيل، ونبذ العنف (أي المقاومة)، وتطبيق خريطة الطريق والتزاماتها الأمنية كما تفعل السلطة الفلسطينية اليوم في الضفة الغربية. كما نرفض تمرير موضوع التهدئة في ثنايا مشروع المصالحة كأنه تحصيل حاصل، ليتحول من خطوة تكتيكية موقتة ضمن تقديرات وطنية إلى حالة استراتيجية دائمة.
4 – ضرورة تهيئة المناخ من أجل الحوار والمصالحة، فلا يعقل عقد مصالحة في ظل التصعيد والاعتقالات التي لا تعكس الجدية وحسن النيات تجاه المصالحة. لذلك يلزم عاجلاً وقف الحملة الأمنية الشرسة في الضفة الغربية ضد "حماس" والجهاد الإسلامي والمقاومين للاحتلال، وضد مؤسسات العمل الخيري والمجتمع المدني، ويلزم الإفراج عن جميع المعتقلين السياسيين. وكل معتقل ليس على خلفية جنائية هو معتقل سياسي.
5 – أن يوفر راعي المصالحة التكافؤ بين الأطراف المتحاورة، وتحديداً بين "حماس" و"فتح" (بما فيها رئاسة السلطة)، وهما الطرفان اللذان نشأ بينهما الخلاف ومن ثم الانقسام، وأن يكون تتويج الحوار معبّراً عن مصالحة حقيقية يطمئن إليها شعبنا الفلسطيني وشعوب أمتنا.
وهذه الرؤية أعلاه تعكس لدى كل منصف جدية الحركة تجاه المصالحة، كما أنها تستند إلى قرار محسوم في مؤسسات الحركة القيادية بضرورة الخروج من حالة الانقسام المؤسفة، وإعادة اللحمة للصف الوطني، والذهاب إلى مصالحة حقيقية بكل استحقاقاتها.

وطوال الأشهر الماضية كنا نسعى بكل جهودنا من أجل إنجاح تحضيرات الحوار، والتعاون مع الإخوة في مصر لضمان الوصول إلى مصالحة حقيقية تتوفر لها مستلزمات النجاح.
لكن للأسف ظلت القاعدة التي تستند إليها تحضيرات المصالحة بعيدة عن المستلزمات المنطقية والضرورية لنجاح المصالحة، باستثناء التجاوب الجزئي مع النقط الأولى المتعلقة بملفات الحوار الخمسة، لكن بقيت مسألة مهمة بشأنها وهي التشديد على ضرورة التعامل معها وتطبيقها كرزمة واحدة، وأن يتفق على التفصيلات أولاً قبل توقيعها وليس العكس. لذلك اضطررنا في نهاية المطاف إلى الاعتذار عن الذهاب إلى الموعد المضروب، وهو موقف أخذته الحركة إلى جانب الإخوة في الجهاد الإسلامي والقيادة العامة والصاعقة، وقوى فلسطينية أُخرى في قطاع غزة كلجان المقاومة الشعبية.

■ **هل الخلافات الأساسية التي دفعت "حماس" إلى الاعتذار قابلة للحل أو أنها مستعصية؟ وهل لا توجد حلول وسط يمكن أن تقبل بها "حماس" مرحلياً على الأقل، وإن كانت موجودة فلماذا لا تُعلَن بوضوح؟**

□ نحن لا نعتبر ما دفعنا إلى الاعتذار هو مسألة خلافات، بل هو مستلزمات منطقية لا نتصور كيف يجري الحوار وتتم المصالحة من دونها. ولذلك، نرى أنه من السهولة حلها حين تتوفر الإرادة الجادة والتعامل المنطقي والمنصف مع هذا الملف الوطني البالغ الأهمية، فنحن لا نطالب بمصالح شخصية أو حزبية، ولا نضع شروطاً على أحد كي ندخل في موضوع الحلول الوسط، بل نتحدث عن مستلزمات ومتطلبات أساسية لأي حوار حقيقي كي نضمن نجاح المصالحة التي نسعى لها.

■ **وقبل ذلك، هل "حماس" و"فتح" جديتان فعلاً في التطلع إلى مصالحة وإنهاء الانقسام والخصام، أم أن كل منهما يناور لتثبيت شعريته وسلطته في الجزء من فلسطين المسيطَر عليه؟**

□بالنسبة إلى موقف الإخوة في حركة "فتح" تستطيعون سؤالهم عن ذلك، فنحن لا نتحدث بالنيابة عنهم، علماً بأن المشكلة الحقيقية – في رؤيتنا – ليست مع حركة "فتح"، بل مع فريق محدد في السلطة الفلسطينية هو الذي قاد إلى حالة الانقسام في الساحة الفلسطينية، حين سعى للانقلاب على نتائج الانتخابات الفلسطينية لسنة 2006، مستعيناً في ذلك بالدعم الإسرائيلي والأميركي، وحاول ولا يزال أن يثبّت الوضع الفلسطيني عند النقطة التي يقف عندها، سواء في تركيب القيادة الفلسطينية وإدارة القرار الفلسطيني، أو في البرنامج السياسي الذي يريد فرضه على الجميع على الرغم من فشله الذريع طوال الأعوام الماضية في الوصول إلى نتيجة على الأرض، وعلى الرغم من أنه برنامج خلافي لا يحظى بالتوافق الفلسطيني، بل إنه دخل في مغامرات ومقامرات عديدة أضرت بالثوابت والحقوق الفلسطينية، وجعلتها مجالاً للمساومات عبر الإصرار على خيار المفاوضات العبثية، بصرف النظر عن الموقف الإسرائيلي وإجراءاته العدوانية على الأرض، من اغتيالات واعتقالات واجتياحات، ومن إمعان في الاستبطان ومصادرة الأراضي وبناء الجدار وتهويد القدس، فضلاً عن الحصار الظالم لقطاع غزة، وتقطيع أوصال الضفة واستمرار مئات الحواجز فيها واستنزافها عسكرياً وأمنياً.
قد يبدو ما سبق استرسالاً خارج السؤال، لكنه أمر أساسي لا بد منه في سياق الإجابة، لأنه متعلق بأصل المشكلة التي هي ليست مع "فتح" كحركة مناضلة نحترم تاريخها، لكن مع ذلك الفريق في السلطة الذي يتحكم اليوم في القرار الفلسطيني.
أمّا بالنسبة إلينا في "حماس"، فنحن جادون تماماً في السعي للمصالحة، وما تضمنته الإجابات السابقة أوضح دليل على ذلك، فضلاً عمّا أشرت إليه من أن موضوع الحوار والمصالحة والخروج من حالة الانقسام وإعادة اللحمة بين قطاع غزة والضفة تحت سلطة واحدة وحكومة واحدة، هو قرار محسوم لدى الحركة ومؤسساتها القيادية، وليس أمراً له علاقة بالمناورة والتكتيك، أو أخذ غزة بعيداً عن بقية الأرض الفلسطينية على الإطلاق.

■ **من المعروف أن هناك عوائق إقليمية ودولية شديدة التأثير تعمل على عرقلة محاولات رأب الصدع، والسؤال هو: بحسب معرفتك بما خفي من الأمور، أو قراءتك الشاملة لمجرياتها، هل كان لهذه العوائق دور فعال في إفشال عقد جلسات الحوار المشار إليها أعلاه، وهل من الممكن تحييدها؟**

□ نعم، التدخلات والضغوط الدولية والإقليمية تؤثر، بسلبية كبيرة، في مسار الحوار والمصالحة الفلسطينية، لكنها وبشكل قاطع تؤثر في طرف واحد وهو رئاسة السلطة الفلسطينية. فالتدخل الأميركي والإسرائيلي السلبي وتأثيره

في موقف السلطة الفلسطينية وحكومة سلام فياض لا يحتاجان إلى دليل، وهذا يتجلى في الفيتو الذي عطّل المصالحة طوال عام ونصف عام، وفي فرض الشروط السياسية للرباعية، واشتراط استمرار الانقسام كي تستمر المفاوضات الفلسطينية – الإسرائيلية، والدور العملي والمباشر لدايتون والجنرالات الأميركيين في بناء أجهزة أمن السلطة وحكومة فياض في الضفة الغربية، والإشراف على عملها بما يحصره في حماية أمن إسرائيل وضرب المقاومة، ومحاولة صنع واقع فلسطيني بعيد تماماً عن أي روح وطنية، حتى باتت حكومة فياض خطراً على حركة "فتح" ذاتها – فضلاً عن القوى الأُخرى – وتسعى لسحب البساط من تحتها. علاوة على ذلك، هناك التصريحات المكشوفة للمسؤولين الأميركيين وللصهيونيين الذين لا يجدون حرجاً من التدخل في الشأن الفلسطيني وفي موضوع المصالحة.

أمّا من زاوية "حماس"، فلا تأثير إقليمياً فينا البتة، ولا أحد يتدخل في قرارنا على الإطلاق، ونحن نتحدى في هذه المسألة، لأنها قضية تتعلق بالمبدأ. أمّا أن هناك تأييداً ودعماً لنا من عدد من الدول العربية والإسلامية، فهذا أمر لا ننكره بل نقدره ونعتز به، وبقدر شكرنا له فهو حق شعبنا على أمتنا، لكنه ليس مشروطاً بأي شرط ولا بأي ثمن على الإطلاق، وإذا كان غيرنا تعوّد على منطق التبعية والإلحاق فهذا ليس منطقنا ولا سياستنا، ومن جرّب "حماس" عملياً يعرف ذلك عين اليقين.

ومن هنا يلزم الحذر من جانب السياسيين والإعلاميين – على حد سواء – من أن يستسهلوا توزيع التهمة في مسألة التدخلات الإقليمية على الطرفين الفلسطينيين، فالطرف المتورط فيها فعلياً يحاول إلصاق التهمة بنا على قاعدة المثل العربي المعروف "رمتني بدائها وانسلت".

■ **في حال استمرار الوضع بين "حماس" و"فتح" على ما هو عليه حالياً، وتفاقمه، ماذا تتوقع "حماس" أن تؤول إليه أحوال الناس في الضفة والقطاع في المستقبل القريب، وإلى متى يمكنهم تحمل الانقسام الفلسطيني والاحتلال الإسرائيلي، وماذا ستكون انعكاسات الوضع في حال استمراره على وحدة الشعب ومصيره ومصير قضيته؟**

□ لا شك في خطورة الانقسام على الوضع الفلسطيني شعباً وقضية، سواء على صعيد تفاقم معاناة شعبنا في الضفة والقطاع، أو على صعيد إضعاف القضية ذاتها والموقف الفلسطيني. وهذا يستوجب الإصرار على الحوار والمصالحة كخيار وحيد يخرجنا من حالة الانقسام الحالي، والسعي نحو تحقيق هذه المصالحة بأسرع ما يمكن.

ونحن في "حماس" لا نرى حلاً آخر غير الحوار والمصالحة، ومستعدون لاستحقاقاته، وما نطلبه – كما وضّحنا سابقاً – هو إجراء المصالحة على أصول صحيحة كما هي المصالحات في العادة، وتوفير مستلزماتها الضرورية والمنطقية.

■ **تردد في الإعلام وعلى لسان مسؤولين فلسطينيين وعرب أن هناك خلافات بين قيادتَي "حماس" في الضفة والخارج من جهة، وقيادة "حماس" في غزة من جهة أُخرى. ما هي حقيقة الأمر؟**

□ هذه مزاعم قديمة جديدة، تثار بين الحين والآخر، إمّا بدافع من الكيد والتشويش والتمني لدى البعض، وإمّا جرياً وراء الأقاويل والتخرصات من البعض الآخر، وإمّا توقعاً لوجود ذلك قياساً على تجارب الآخرين وما تعيشه بعض القوى من حالات صارخة من الخلافات والانقسامات والصراع الداخلي. والزعم أن لدى أطراف فلسطينية أو إسرائيلية وثائق ورسائل تدل على ذلك هو محض هراء، ونوع من محاولات التشويه والتشويش.

"حماس" حركة واحدة في الداخل والخارج، وهي بفضل الله متماسكة غاية التماسك وعلى قلب رجل واحد، على الرغم من توزعها الجغرافي بين الضفة والقطاع والخارج، وعلى الرغم من العوائق الأمنية التي تحول في كثير من الأحيان دون اللقاء المباشر بين قيادات الحركة.

نعم هناك تعدد في الآراء والاجتهادات داخل الحركة، وهذا جزء من حيويتها وحرية الرأي الواسعة فيها، ومظهر من مظاهر الروح الشورية الديمقراطية السائدة فيها، لكن ذلك يبقى في إطار تداول الرأي وطبخ أو صناعة القرار، فإذا ما أخذت المؤسسة القيادية القرار فالجميع ملتزم به بفضل الله. وهكذا هي الحركات الحية والحرة، لا هي مشرذمة ولا هي مقولبة، بل تنوع وإثراء وحرية مبادرة في إطار المؤسسة الواحدة والقرار الواحد.

■ **ما هو موقف "حماس" تجاه تهديدات أبو مازن الأخيرة: إمّا نجاح الحوار بناء على شروط السلطة، وإمّا انتخابات مبكرة لرئاسة السلطة والمجلس التشريعي سيدعو إليها في بداية السنة المقبلة؟**

□ باختصار هذه التهديدات تعكس عمق الاضطراب في موقف رئاسة السلطة الفلسطينية، وإدراكهم أن هناك استحقاقاً قادماً يوم التاسع من كانون الثاني/يناير 2009، كما أن التهديدات تدلل على أن اهتمام رئيس السلطة بالمصالحة نابع من الحاجة إلى تغطية استحقاق التاسع من كانون الثاني/يناير القادم، وإلاّ لماذا يهدد بأنه "إن لم..."، فإنه سيدعو إلى انتخابات رئاسية تشريعية في مطلع العام القادم؟!!

لكن الدعوة إلى انتخابات رئاسية وتشريعية معاً في مطلع سنة 2009 أمر مخالف للقانون الأساسي الفلسطيني، ولا يستطيع أحد فرض ذلك على الشعب الفلسطيني، فكانون الثاني/يناير 2009 هو موعد استحقاق الانتخابات الرئاسية فقط، أمّا الانتخابات التشريعية فاستحقاقها هو في كانون الثاني/يناير 2010.

ثم كيف ستتم الانتخابات عملياً في ظل الانقسام الفلسطيني؟!!

إن أزمة الانقسام الفلسطيني مخرجها الوحيد هو الحوار والمصالحة، لا التهديد والوعيد، ومن يزعم حرصه على الحوار والمصالحة عليه أن يكون مستعداً لاستحقاقاتها، وألاّ يرفض الدعوة إلى توفير مستلزمات نجاحها.

(*) زميل متقدم في مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

وقد أجرى ربّاني الحوار في دمشق بتاريخ 8 – 2008/3/9، وكان نُشر في وقت سابق بعد ترجمته وتحريره في شقيقتنا الصادرة باللغة الإنكليزية:

(Journal of Palestine Studies, vol. XXXVII, nos. 3, 4 (Spring and Summer 2008).

(**) وُجّهت أسئلة هذا القسم الأول إلى السيد خالد مشعل، رئيس المكتب السياسي لحركة "حماس"، في أواخر تشرين الثاني/نوفمبر الفائت، وأجاب عليها مشكوراً بتاريخ 2008/11/27. والمجلة تنشر الأجوبة التي وردتها خطياً كاملة وحرفياً.

II نشأة "حماس" وتطورها ودور مشعل في التأسيس

السيرة الشخصية

■ أود أن أضعك في مجمل الإطار العام للأسئلة. أولاً، بطاقتك الشخصية وكيف التحقت بحركة "حماس" وتجربتك في الحركة. ثانياً، نظرة عامة إلى حركة "حماس" واختلافها عن التنظيمات الأُخرى، وما هي أهدافها ودور الدين في الحركة السياسية. ثالثاً، تقويم الفترة ما بعد رحيل الرئيس عرفات، والتي شهدت مشاركتكم في الانتخابات التشريعية، واتفاق القاهرة سنة 2005، ووثيقة الوفاق الوطني سنة 2006، واتفاق مكة سنة 2007. ما هو تقويمك للمشاركة السياسية والفوز في الانتخابات، وتقويمك للعلاقة بالرئيس أبو مازن بعد الانتخابات. كما أنني أرغب في التطرق إلى ما جرى في غزة بين "حماس" و"فتح" في حزيران/يونيو 2007، والعلاقة بالدول العربية والمجتمع الدولي. وثمة أسئلة عن القضايا الداخلية الخاصة بحركة "حماس" مثل رؤيتها ورؤية رئيس مكتبها السياسي للمشكلات التي تثيرها المقاومة في سياق الصراع الفلسطيني – الإسرائيلي، وأُخرى تتعلق بمسائل راهنة مدرجة في جدول الأعمال الفلسطيني.

أبدأ بالبطاقة الشخصية. أنت من مواليد بلدة سلواد في الضفة الغربية، لكنك تربيت ونشأت في الكويت، هل كنت تزور الضفة بعد 1967؟ كيف التحقت بالحركة الإسلامية؟ وهل كانت لك تجارب في حركات سياسية فلسطينية أو عربية أو إسلامية قبل انضمامك إلى حركة "حماس"؟

□ أنا من مواليد سنة 1956 في بلدة سلواد، التابعة لقضاء رام الله، وقد عشت فيها حتى سنة 1967، أي 11 عاماً. درست في مدرسة سلواد حتى الصف الخامس الابتدائي. بعد حرب 1967 والهزيمة النكراء نزحت عائلتي إلى الكويت.

■ **في أثناء حرب 1967، هل كنت في الضفة؟**

□ نعم، في سلواد. كان عمري 11 عاماً، وما زلت أذكر أيام الحرب وانعكاساتها على نفسية الناس الذين انقلبوا من التطلع نحو النصر والتحرير في ضوء الإعلام العربي الذي كان يعطي للأسف صورة غير حقيقية عن مجرى

المعركة، إلى الصدمة التي أصابتهم عندما هزمت الأمة وخسرت مزيداً من الأراضي غير ما خسرنا في سنة 1948؛ خسرنا الضفة الغربية وقطاع غزة وسيناء والجولان. تركت الهزيمة بصمات في عقلي وفي ذاكرتي وفي قلبي وفي وجداني، وكان لها تأثير في مجرى حياتي. ولأن والدي كان أصلاً يعمل في الكويت...

■ **ماذا كانت طبيعة عمله؟**

□ كان يعمل في مجالين: الزراعة...

■ **في فلسطين؟**

□ والدي كان فلاحاً وأنا فلاح. عمل والدي في الكويت في مجالين: الزراعة، وإمام جامع. كان إماماً لمسجد بحكم خلفيته الدينية وثقافته الإسلامية وحفظه قدراً كبيراً من القرآن الكريم. والدي، بالمناسبة، شارك في ثورة 1936، مع الشهيد عبد القادر الحسيني، وتابع جهاده حتى سنة 1948. وبما أن والدي كان يعمل في الكويت في سنة 1967، فقد انتقلت العائلة إلى الأردن مباشرة بعد حرب 1967، ثم إلى الكويت في صيف السنة نفسها. وفي الكويت التحقنا بالمدارس.

■ **بما أن الوالد كان إمام جامع، فهل يمكن القول إنك تربيت في بيئة متدينة أكثر من تدين أبناء صفك؟**

□ بلدتي سلواد مشهورة بالتدين عموماً. كان فيها عدد من العلماء، من خريجي الأزهر. وبشكل عام، فإن القرى في فلسطين يغلب عليها التدين والمحافظة. أمّا في داخل أسرتي الصغيرة فالبيئة لدينا بيئة محافظة ومتدينة في الوقت نفسه، وهذا أثر فيَّ بلا شك. وكنت أصلّي منذ صغري. إذاً، نشأت في بيئة متدينة ومحافظة. لم أعش فترات انحراف أو ضياع، والتزمت مبكراً الصلاة والتدين. إلى جانب ذلك، كان هناك الروح الوطنية، ولا سيما ما خلّفته فينا حرب 1967 التي شكلت صدمة لي ولأبناء جيلي.

الكويت والمؤثرات الأولى

■ **هل الوصول إلى الكويت شكل صدمة لكم أيضاً، لأنه كان المرة الأولى التي تغادرون فيها وطنكم؟**

□ طبعاً طبعاً. الانتقال المفاجئ والقسري من العيش في الوطن إلى العيش في بلد جديد وفي بيئة جديدة وفي أوضاع غير طبيعية ولّد مجموعة صدمات: صدمة الهزيمة وصدمة الغربة عن الوطن والتشريد القسري والعيش في بيئة جديدة وأنا ما زلت في مرحلة حرجة. لست طفلاً لا يعي ولست رجلاً ذا خبرة وتجربة. كنت في مرحلة الفتوة (11 عاماً). لقد كان للصدمات تأثير مهم في عقلي الباطن وفي وجداني وفي تفكيري، وفي صوغ شخصيتي اللاحقة، وخصوصاً عندما ذهبت إلى الكويت وعشت مع الآلاف بل عشرات الآلاف من أبناء شعبنا الفلسطيني ممن هم، في معظمهم، ضحايا الهزيمة وضحايا الهجرة والتشريد.

■ **معظمهم من لاجئي 1948 بحسب تصوري، أم أنهم من نازحي 1967؟**

□ بعضهم من لاجئي 1948، وبعضهم الآخر من نازحي 1967. وجدت نفسي مع آلاف وعشرات الآلاف من الذين لجأوا قسراً إلى الكويت. وعندما بدأ العام الدراسي في أيلول/سبتمبر 1967، وبسبب الطفرة في الهجرة الفلسطينية إلى الكويت، صارت مدارس الكويت الحكومية غير قادرة على استيعاب هذا العدد الجديد والكبير. وحتى المدارس الخاصة، وكانت محدودة العدد في ذلك الوقت، وذات تكلفة عالية، لم تتمكن من استيعاب أبناء اللاجئين، كما أن اللاجئ، أصلاً، لم يكن قادراً على إلحاق أبنائه بها. في ذلك الوقت أنشئت مدارس منظمة التحرير، وكانت تعمل تحت إشراف المنظمة وتلتزم المناهج التعليمية الكويتية، لكنها تقوم بالتدريس في الفترة المسائية. كان طلابها من الذين جاءوا من قرى الضفة الغربية أو غزة إلى الكويت، وكانوا يعيشون أوضاعاً متشابهة. وكنا نشعر في الكويت وفي هذه المدارس كأننا ما زلنا في أرض الوطن، لأن زملائي كلهم، تقريباً، كانوا من هذه الشريحة. وقد شكلت هذه البيئة حاضنة وطنية حقيقية. فمع بداية الدوام تبدأ الأغاني الوطنية التي ما زالت تتردد أصداؤها في ذاكرتي حتى اليوم مثل: أخي جاوز الظالمون المدى؛ بلادي بلادي. نبدأ الدوام بالأناشيد، وبها ينتهي الدوام أيضاً. فالنشيد الوطني كان جزءاً من الثقافة الوطنية التي تشربناها. أتذكر عندما وقعت معركة الكرامة في 21 آذار/مارس 1968 كيف أن المدرّس أوقف الحصة وبدأ يشرح لنا هذه المعركة. الطلاب جميعهم في الصف كانوا فلسطينيين،

والمدرسون، في معظمهم، فلسطينيون أيضاً. بعضهم كان من مصر، لكن الأغلبية فلسطينية. هنا أستطيع القول إن الالتزام الديني اختلط في ذاكرتي، ولا سيما بين سنتَي 1967 و1970، بالحالة الثورية الوطنية، فامتزجا معاً وصاغا قدراً كبيراً من شخصيتي وتفكيري.

■ **لكن الالتزام الديني الذي تربيت عليه كان التزاماً تقليدياً غير مسيّس كما صار لاحقاً. متى تسيّس خالد مشعل؟**

□ بقيت في المدارس المسائية حتى العام الدراسي 1970 – 1971، ثم انتقلت إلى مدرسة ثانوية ذات دوام صباحي، ولم تكن تابعة لمنظمة التحرير، بل كانت مدرسة حكومية، وهي ثانوية عبد الله السالم، وكنت متفوقاً على مستوى الصف والمدرسة. في هذه الفترة ازداد التزامي الديني، وأيضاً التزام الثقافة والقراءة من دون أن تضعف الاهتمامات الوطنية. لا تنسَ أن أزمة أيلول/سبتمبر وقعت في عمّان في سنة 1970، وفي إثرها طردت المقاومة الفلسطينية من الأردن وانتقلت إلى لبنان. ولا شك في أن هذا الوضع انعكس سلباً على الفلسطينيين بشكل عام. ففي هذه الفترة بالذات ازدادت جرعة الاهتمام عندي مع بقاء الروح الوطنية مستمرة. وقد فكرت في تلك الفترة في الانخراط في العمل الفدائي. كان الشعور الوطني عندي قوياً، وقد التحق زملاء كثيرون بالعمل الفدائي.

■ **غادروا إلى بيروت؟**

□ كانوا يذهبون إلى عمّان قبل سنة 1970، وإلى سورية ولبنان. كنا كل يوم نأتي إلى الصف ونسأل: أين فلان؟ فيقولون التحق بالثورة الفلسطينية، انضم إلى الفدائيين.

■ **كانوا يلتحقون بحركة "فتح"؟**

□ "فتح" والجبهة الشعبية، لكن معظمهم كان يلتحق بحركة "فتح". لم نكن في ذلك الوقت نبحث عن التفصيلات ولا نعيها كثيراً. كان الوعي، على العموم، وعياً وطنياً متحمساً للثورة. وفي هذه الأجواء، ومع الروح الوطنية الدفاقة، كدت في لحظة ما ألتحق بالثورة، ولا سيما أنني كنت أتابع مجلات الثورة الفلسطينية وصور معسكرات التدريب وغيرها. لكن الذي كبح هذه الخطوة لدي هو نوع من التقويم العقلاني، أي اعتقادي أنني أستطيع أن أخدم القضية الفلسطينية بعد أن أنهي تعليمي. كنت أمام خيارين: إمّا أن أترك مقاعد العلم لألتحق بالثورة، وإمّا أن أبقى على مقاعد التعليم والعلم لأخدم قضيتي وأخدم الثورة الفلسطينية وأخدم الوطن لاحقاً. وبعد هذه المحاكمة العقلية قررت أن أبقى، وخصوصاً أنني كنت متفوقاً. وفي هذه المرحلة، ومع زيادة اهتمامي الديني، تعرفت إلى مجموعة من الزملاء والشباب كان بعضهم منتمياً إلى الأخوان المسلمين. وقد حرصوا، كما يبدو، من خلال صحبتي إياهم ووجود القاسم المشترك بيني وبينهم، أي التدين، على كسبي. وخلال فترة قصيرة التحقت في سنة 1971 بالحركة الإسلامية الفلسطينية المهاجرة إلى الكويت، أي بالإخوان المسلمين..

■ **إذاً، لم تنتسب إلى حركة "فتح" قبل انضمامك إلى الإخوان المسلمين؟**

□ لا. قبل سنة 1971 كنت أتعامل مع الحالة الثورية بشكل عام من دون أي انتماء فصائلي، وكان لي زملاء في "فتح" وفي الشعبية، وكان لي رفقة جيدة معهم. وأتذكر أنني عندما انتقلت إلى جامعة الكويت في سنة 1974، تعرفت إلى بعض الأصدقاء الذين دعوني إلى الانضمام إلى حركة "فتح"، لكني كنت آنذاك قد انتميت إلى الحركة الإسلامية الفلسطينية، وكان لي رؤيتي الخاصة. لكن هذا لم يكن مانعاً من إبقاء الصحبة الطيبة مع جميع الزملاء.

■ **هل ما زالت مستمرة حتى الآن؟**

□ نعم. في جامعة الكويت كان لي صداقات مع الأخوة في "فتح" وفي الجبهة الشعبية والفصائل الأُخرى. كنا نتنافس في الاتحاد العام لطلبة فلسطين، وتكون المنافسة أحياناً ساخنة.

■ **كيف خاضت حركة الإخوان المسلمين المعركة الانتخابية في اتحاد طلبة فلسطين؟**

□ التحقت بجامعة الكويت سنة 1974. وكان هناك محاولة لبعض الزملاء ممن سبقوني إلى الجامعة للمشاركة في الاتحاد العام لطلبة فلسطين، لكن التجربة لم تنجح. فلما التحقت بالجامعة، وكان لي اهتماماتي الإسلامية والوطنية معاً، بدأت أشعر وزملائي بأنه لا بد من أن يكون لنا تجربتنا الفلسطينية الخاصة. صحيح أننا حركة

إسلامية فلسطينية، لكن لا بد من أن يكون لها دورها وتجربتها في العمل الوطني وفي العمل النضالي والجهادي والعمل السياسي الفلسطيني.

■ **تقصد الدمج بين الدين والوطنية؟**

□ نعم، فقد وجدتُ الحركة الإسلامية الفلسطينية، مثل معظم الحركات الإسلامية العربية في تلك الفترة، معنية بالأمور الدعوية والفكرية والاجتماعية فقط، بينما موجة الفكر القومي واليساري كانت هي السائدة. كانت الحركة الإسلامية بعيدة عن العمل النضالي المباشر. صحيح أن للإخوان تجربتهم في حرب 1948 وما قبلها، وكذلك تجربتهم في معركة القناة سنة 1956، والدفاع عن غزة في سنوات 1954 و1955 و1956، كما كان لهم ما سُمي لاحقاً بتجربة معسكرات الشيوخ خلال الفترة 1968 – 1970 في الأردن تحت مظلة حركة "فتح"، لكن هذه التجربة لم تتواصل لعوامل عديدة بعضها ذاتي وبعضها سببه الظرف الموضوعي والسياسي المحيط بها، وعدم السماح للحركة الإسلامية بأن تعبّر عن نفسها. جيلنا جاء إلى الحركة الإسلامية الفلسطينية ليجد أنه لا تجربة مباشرة لها على الأرض في العمل الوطني السياسي والنضالي والجهادي. هنا نشأت ضرورة أن يكون لنا مشروعنا الخاص، وأن نمزج الإسلامي بالوطني. وكانت أول تجربة لنا في الاتحاد العام لطلبة فلسطين. اطلعنا على التجربة التي قلت إنها لم تنجح خلال الفترة 1973 – 1974، ثم بدأنا تجربة أُخرى في سنة 1977، وشكّلنا قائمة طالبية. كنت رئيس هذه القائمة التي أسميناها "قائمة الحق الإسلامية".

■ **كانت مقتصرة على الإخوان المسلمين؟**

□ لا. كانت قائمة الحركة الإسلامية وأساسها إسلاميون. غير أننا فتحناها للجميع. قلنا: من يُرد أن يشارك فليشارك.

■ **هل تحالفتم آنذاك مع حركات إسلامية أُخرى؟**

□ لا، لم تكن هناك حركات إسلامية أُخرى لنتحالف معها. لم يكن اسمنا المعلن هو الإخوان المسلمون. كنا إسلاميين فلسطينيين، أي طلبة فلسطينيون إسلاميون في جامعة الكويت، وقررنا أن نشارك في الاتحاد العام لطلبة فلسطين، وألفنا قائمة، ودعونا من يريد أن ينضم إلينا لينضم. وبالفعل انضم إلينا عدد من المستقلين والمتعاطفين. في أواخر ذلك العام زار السادات القدس، وفرضت هذه الزيارة أجواء ساخنة من النقاش السياسي مع زملائنا في الشعبية وفي "فتح" وفي القوائم الأُخرى. وللأسف عندما وجدوا قائمتنا قوية عطلوا انتخابات الاتحاد، كأنهم خافوا أن نسيطر عليه مع أننا كنا نشارك أول مرة في انتخاباته. أنت تعرف أن الإسلاميين الفلسطينيين لم يكن في ثقافتهم فكرة المشاركة في المؤسسات وفي الاتحادات، وبالذات الاتحادات النقابية والطالبية التابعة لـ م.ت.ف. نحن تجاوزنا هذه العتبة ورغبنا في المشاركة. لكن الانتخابات أُجلت في ذلك العام وبقيت تتأجل حتى سنة 1980، أي ثلاثة أعوام، وأذكرُ أنه وُضعت علينا شروط تذكرني بالشروط التي تعرض علينا اليوم مثل القبول ببرنامج النقاط العشر. صبرنا عاماً وعاماً وعاماً، فلما وجدنا أن الأمر طال، اضطررنا إلى تأليف رابطة، وكانت هذه خطوة أُجبرنا عليها. اتخذت الرابطة في ذلك الوقت اسم "الرابطة الإسلامية لطلبة فلسطين"، وكانت نواة العمل الفلسطيني الإسلامي في الخارج. تشكلت الرابطة في سنة 1980 وكنت قد تخرجت من الجامعة سنة 1978، لكن إخواني وزملائي من بعدي أكملوا التجربة. وكانت قد نشأت، قبل رابطة الكويت، رابطة إسلامية طالبية أُخرى في بريطانيا في سنة 1979، ورابطة في أميركا سنة 1981، ورابطة في ألمانيا سنة 1982.

■ **خلال هذه الفترة، هل كنت تزور الضفة الغربية، في الصيف مثلاً؟**

□ طبعاً. أنا وعشرات الآلاف من الشعب الفلسطيني الذين نزحوا بعد حرب 1967. لقد حرصت على زيارة سلواد وذهبت إليها مع العائلة في سنة 1975 وأنا طالب في الجامعة. مكثت شهرين فيها، وكانت هذه أول زيارة بعد سنة 1967 وآخر زيارة للأسف، لأنني، بعد ذلك، انخرطت في العمل السياسي والوطني، وأصبح وضعي لا يسمح لي بمثل هذه الزيارات. في أثناء هذه الزيارة تجولت في مدن الضفة ومدن 1948. وذهبت إلى القدس والناصرة وحيفا ويافا والساحل الفلسطيني. وكنا نريد أن نذهب إلى غزة، لكن تعذّر إكمال الرحلة، فعدنا إلى الضفة الغربية. هذه الزيارة بقدر ما أسعدتني أصابتني بألمين شديدين. الأول هو إحساسي بالغربة عن الوطن، لأنني عشت 11 عاماً

في بلدي، وعندما عدت إلى سلواد، وعمري 19 عاماً، كانت هذه العودة موقتة رغماً عني. أمّا الألم الثاني فكان مصدره جولتنا في أراضي 1948، وكانت تلك هي المرة الأولى التي أزور فيها هذه الأراضي. قبل سنة 1967 كنت أعرف الضفة ولم أكن أعرف مناطق 48، فلما رأيت مرج ابن عامر وسهول فلسطين وجمالها الأخّاذ أصبت بغصة وألم شديدين لأن فلسطين ضاعت مرتين؛ فلسطين كلها ضاعت، بجمالها بترابها بهوائها، بتاريخها، بمقدساتها وقدسها، وبكل ما تعنيه فلسطين من تاريخ ومن حاضر ومن جغرافيا ومن إنسان ومن أرض.

■ **هل احتككت بالمجتمع الإسرائيلي أو بالجيش الإسرائيلي؟**

□ لا أستطيع أن أسميه احتكاكاً، لأنها كانت رحلة قصيرة مررت في أثنائها بالحواجز، ورأيت بالطبع الجندي الإسرائيلي. لكن لم يكن هناك احتكاك. والشهران اللذان أمضيتهما داخل البلد كنت أذهب خلالهما إلى رام الله وإلى القدس، وأمر عبر الجنود وأرى المستوطنات.

■ **هل استدعاك أحد من الإسرائيليين في أثناء هذه الفترة؟**

□ لا. لأنني زائر من الخارج، ولم يكن معروفاً عني في ذلك الوقت أي انتماء سياسي، ولم يكن لديهم أي معلومات عني. عبرنا الجسر من الأردن إلى الضفة ومررنا بالحواجز الإسرائيلية ورأينا كيف يفتشون الناس والأغراض، وشعرنا كيف تزور وطنك كأنك غريب. أقسى شيء أن تزور الوطن وأنت لا تملك حق الإقامة والعيش فيه، بينما يعيش على أرض فلسطين مئات الآلاف والملايين من الإسرائيليين الذين جاؤوا من أقاصي الدنيا إلى وطن ليس لهم. هذه المفارقة كانت مؤلمة. حين كنت على مقاعد الجامعة بين سنتَي 1974 و1978، تشكّل لدي النضج العقلي والنفسي، وبدأت تتبلور اهتماماتي التي هي مزيج من الالتزام الإسلامي الديني والحركي، وذلك من خلال انتمائي إلى الحركة الإسلامية، إضافة إلى الاهتمام والتقارب مع الخط الوطني. وكانت لي اهتمامات أدبية مبكرة بالشعر والثقافة والأدب مع الجانب العلمي، مع أنني كنت أحب العلوم، وخصوصاً الفيزياء حباً شديداً. فضلاً عن ذلك، كانت الكويت تمتاز بمساحة مهمة من الحرية لعلها من أكبر المساحات قياساً على الدول العربية الأُخرى، وكان يوجد فيها نحو ثلاثمئة إلى أربعمئة ألف فلسطيني يعيشون في مناطق متقاربة. عشنا في الكويت في بيئة شبه فلسطينية، وبالتالي كانت الثورة الفلسطينية حاضرة فيها، "فتح" وبقية الفصائل الفلسطينية ومكتب منظمة التحرير. الكويت كانت في الحقيقة من الدول المتفاعلة مع القضية الفلسطينية، فنشأت فيها حركة "فتح"، ثم قدّر الله أن تكون الكويت كذلك الحاضنة التي نشأت فيها حركة "حماس" في الخارج، إضافة إلى غزة والضفة في الداخل. ذلك كله جعل فكرة إنشاء مشروعنا الجهادي على أرض فلسطين يبدأ من تلك البيئة والبيئات الأُخرى في الداخل، في تلك المرحلة. بعد تأليفنا قائمة "الحق الإسلامي" في سنة 1977، ومحاولتنا الدخول إلى اتحاد طلبة فلسطين، ثم تأسيسنا الرابطة الإسلامية سنة 1980، بدأنا نخطو الخطوات الأولى نحو تأسيس حركة "حماس". لم يكن اسمها "حماس" في ذلك الوقت، لكن كنا نشتغل لإيجاد مشروعنا الجهادي الفلسطيني على أرض فلسطين.

■ **بعد أن تخرجت من الجامعة، هل بقيت في الكويت؟**

□ نعم. بقيت في الكويت. عملت مدرساً للفيزياء من سنة 1978 حتى سنة 1984.

التأسيس

■ **مَن هم الذين كانوا معكم في تلك الفترة؟ مَن منهم بقي في حركة "حماس"، ومن ترك العمل السياسي؟**

□ مشروع "حماس"، الذي هو المشروع السياسي الجهادي للحركة الإسلامية الفلسطينية تبلور في أواخر السبعينيات وبداية الثمانينيات في ثلاث ساحات أساسية: غزة والضفة الغربية والكويت. وأحمد الله أنني كنت واحداً ممن شارك في تأسيس الحركة. هناك من شارك في تأسيسها في غزة وعلى رأسهم الشيخ أحمد ياسين رحمه الله، والأستاذ عبد الفتاح دخان والأستاذ محمد حسن شمعة. وهناك من ساهم في تأسيس الحركة في الضفة الغربية وعلى رأسهم المهندس حسن القيق رحمه الله والأستاذ ناجي صبحة رحمه الله والدكتور عدنان مسودة. وهناك من ساهم في تأسيس الحركة في الخارج بعضهم لم يحن الأوان لذكر أسمائهم وبعضهم يمكن ذكرهم كالأستاذ سليمان حمد. نحن حركة إسلامية فلسطينية واحدة موجودة في غزة وفي الضفة وفي الخارج. نحن تنظيم واحد وحركة واحدة. لكن كل واحد منا كان يبني النواة الأولى في ساحته، إنما في إطار تنظيمي شامل واحد،

وكان الجميع على تواصل بعضهم ببعض. والأخوة الذين كانوا معي في ذلك الوقت بعضهم عاد إلى الداخل، وبعضهم مارس أعمالاً مختلفة، وبعضهم بقي في الخارج، وبعضهم له أدوار غير ظاهرة. هناك من لديه أدوار ظاهرة مثل الإخوة محمد نزال وسامي خاطر وعزت الرشق، وهم أعضاء في المكتب السياسي للحركة، والأخ جمال عيسى وهو ممثل "حماس" في اليمن، والأخ منير سعيد وكان ممثلنا في السودان وفي اليمن.

■ **كنتم جميعاً معاً في الجامعة؟**

□ لا. الأخ محمد نزّال لم يدرس في جامعة الكويت. كان يقيم بالكويت، لكنه درس في باكستان، وكان من مجموعة الكويت. والأخ سامي خاطر، لم يدرس في جامعة الكويت، لكنه كان موجوداً في البلد. وهناك الأخ أسامة حمدان والدكتور محمد صيام، وهناك آخرون أيضاً خاصة ممّن أدوارهم غير ظاهرة. في سنة 1983 عقدنا مؤتمراً داخلياً غير معلن للحركة الإسلامية، للتشاور في إطلاق المشروع. عقدنا المؤتمر في إحدى الدول العربية، وحضره أخوة من غزة ومن الضفة ومن الخارج.

■ **في أي دولة؟**

□ ليس من الضروري ذكر الدولة. في هذا المؤتمر وضعنا حجر الأساس لإطلاق المشروع. وفي سنة 1985 – 1986 اتخذنا القرار بإطلاق المشروع رسمياً، وبتشكيل قيادة له ورسم برامجه وأهدافه. وفي سنة 1987 تم إعلان المشروع باسم حركة "حماس" مع بدء الانتفاضة المباركة.

■ **خلال تلك السنوات، هل كنت خارج الكويت؟**

□ لا. كنت في الكويت. وكنت عضواً في أول قيادة لهذا المشروع.

■ **هل كنتَ متفرغاً؟**

□ نعم، تفرغت. في بداية سنة 1984 تركت التعليم وتفرغت لهذا المشروع بعدما وجد إخواني أن الأمر يتطلب تفرغاً تاماً.

■ **بدأت الانتفاضة الأولى في 1987/12/9.**

□ بل في 1987/12/8.

■ **الحادث وقع في 1987/12/8.**

□ حادث المقطورة وقع في 12/7، والانتفاضة بدأت في 12/8.

■ **وبعدها أُسست حركة "حماس".**

□ "حماس" أُسست قبل ذلك. أُسست أنوية عمل في غزة وأنوية عمل في الضفة وأنوية عمل أُخرى في الخارج. بدأنا التشاور في المشروع في مؤتمر 1983، وفي سنتَي 1985 و1986 اتخذنا قراراً قيادياً بوضع الإطار التنظيمي لهذا المشروع بحيث يشمل الداخل والخارج. المشروع كان موجوداً وقائماً، لكن إعلانه تم في سنة 1987. وحين وقعت حادثة المقطورة، ارتأى إخواننا في غزة اعتبار هذه الجريمة الصهيونية فرصة لتثوير الشارع الفلسطيني في مواجهة العدو، وبدأت المواجهة الشعبية التي سميت لاحقاً الانتفاضة. الحركة الإسلامية في هذه المواجهة المباشرة التي بدأت بالحجارة ثم تطورت إلى السكين والمولوتوف ثم البندقية، عبّرت عن نفسها تحت اسم "حماس". وصدر أول بيان لها في 1987/12/14، أي بعد أربعة أيام من بدء الانتفاضة، وكان ذلك إعلان الولادة وليس الولادة بحد ذاتها. الولادة تمّت قبل ذلك. وجاء الإعلان مع بدء الانتفاضة تحت اسم حركة المقاومة الإسلامية ("حماس").

■ **هل تعرفت، في أثناء تلك اللقاءات والتحضيرات إلى الشيخ أحمد ياسين وجمال منصور وغيرهم؟**

□ لا. لا. تعرّفنا إلى بعض الأخوة الذين جاؤوا من الداخل، لكن لم يكن بينهم الشيخ الشهيد أحمد ياسين. كان للشيخ أحمد ياسين رحمه الله دوره الدعوي الكبير في الحركة الإسلامية في غزة وفي مناطق 48، ودوره في بناء

المؤسسات مثل المجمع الإسلامي ثم الجمعية الإسلامية والمؤسسات الإسلامية التعليمية والصحية والاجتماعية والشبابية. أمّا الأخ الشهيد جمال منصور فكان التواصل معه في التسعينيات عبر الهاتف والمراسلة التنظيمية كما هي العادة مع أغلبية القيادات، ورأيته مباشرة في مخيم مرج الزهور في فترة إبعادهم 1992 – 1993.

■ **هل التقيت الشيخ أحمد ياسين؟**

□ نعم. لكن ذلك حدث في وقت متأخر. الشيخ أحمد ياسين، بالإضافة إلى الأدوار الدعوية والاجتماعية والتنظيمية وبناء المؤسسات، كان يهتم بالجانب العسكري، وكان على رأس أول تجربة عسكرية للحركة الإسلامية في سنة 1983. لذلك اعتقل ثم أفرج عنه، وهذا حال دون سفره إلى الخارج، فلم يسافر إلاّ بعد أن أفرج عنه في سنة 1997 في إثر محاولة اغتيالي في الأردن. في الثمانينيات لم نره، إنما رأينا بعض الأخوة الذين قدموا من الضفة وغزة في بعض الفترات. لكن التواصل التنظيمي بين أجزاء الحركة الإسلامية في غزة والضفة والخارج كان قائماً عبر الأشخاص الذين كانوا يسافرون إلى الداخل، أو الذين يخرجون من الداخل، أو عبر الرسائل وأساليب اتصال أُخرى.

■ **ما هي "حماس"؟ هل هي حركة إسلامية متسيسة أم حركة سياسية متدينة؟ وما هي العلاقة بين الدين والسياسة في الحركة؟ بِمَ تختلف عن الفصائل الفلسطينية الأُخرى؟ ما هي أهدافها الرئيسية؟**

□ حركة "حماس" حركة شاملة. هي حركة إسلامية، وهي حركة وطنية، وهي حركة جهادية، وهي حركة سياسية، ولها اهتماماتها الأُخرى الاجتماعية والثقافية وخدمة الناس وبناء المؤسسات. "حماس" هي هذا المزيج كله. وهي مزجت البُعد الديني بالبُعد العسكري النضالي الجهادي، وبالبُعد السياسي، وبالبُعد الاجتماعي والثقافي، وغير ذلك. فلا تستطيع أن تقول إن "حماس" هي حركة دينية صرفة، أو حركة سياسية صرفة، أو حركة عسكرية صرفة. هي ليست جناحاً عسكرياً فقط أو فصيلاً عسكرياً، وليست حركة دينية اجتماعية دعوية أو سياسية فقط، إنما هي مزيج من هذه الأنواع كلها. أمّا ما هو الشيء الذي تختلف به "حماس" عن الفصائل الأُخرى؟ الجواب: لكل فصيل تجربته الخاصة به وتاريخه، وكينونته، والأوضاع التي ولد وتشكل فيها. "حماس" لها تجربتها الخاصة بها أيضاً. نتقاطع مع الآخرين في جوانب، ونختلف عنهم في جوانب أُخرى. وربما أهم فارق عن بقية الفصائل هو أن "حماس" تمزج البُعد الإسلامي الديني بالبعد السياسي، وبالبعد العسكري والاجتماعي، في قالب واحد.

■ **كان هناك في "فتح" تيار إسلامي.**

□ صحيح. لكن هذا كان في البدايات. التيار الإسلامي كان التيار الأكبر فيها، لكن بعد ذلك انفتحت على البعثيين والقوميين وعلى اتجاهات متعددة، وأصبحت فكرة "فتح" هي اللقاء على البندقية.* وهذا يعني أن هوية "فتح" هي البندقية والعمل العسكري الفدائي ضد الاحتلال بصرف النظر عن الانتماء الفكري أو الثقافي عند الأعضاء. أمّا بقية فصائل الثورة الفلسطينية فكان يغلب عليها الخط الوطني الصرف. هذا الفصيل ثقافته يسارية، وذاك ثقافته قومية، وآخر ثقافته وطنية. لكن "حماس" أدخلت البُعد الإسلامي الديني في المعركة من دون أن يكون ذلك على حساب البُعد الوطني لأنه لا تناقض، بحسب اعتقادنا، بينهما، وهذا يعني أن الحركة الإسلامية هي حركة وطنية.

■ **حركة إسلامية في مجتمع فلسطيني معروف عنه تنوعه الديني؟**

□ طبعاً، لأن مجتمعنا في النهاية مجتمع أغلبيته الكبرى من المسلمين. أن تكون حركة إسلامية في مجتمع معظمه من المسلمين هو أمر طبيعي، كأن تتحدث عن حزب مسيحي في أوروبا. أن تكون إسلامياً في فلسطين أو في العالم العربي لا يعني أن تكون ضد المسيحي الفلسطيني، أو ضد المسيحي العربي، أو حتى ضد الليبرالي والعلماني الفلسطيني أو العربي. فلسطين هي أرض الرسالات والنبوات، عاش فيها المسيحيون والمسلمون واليهود، وكانت دائماً نموذجاً للتسامح الديني. فبالتالي لا مشكلة في أن يكون هناك حركة إسلامية في فلسطين. المسيحيون شركاؤنا في الوطن. والدليل على ذلك أن "حماس" عندما انطلقت بمشروعها كسبت عواطف المسلمين والمسيحيين معاً، وهناك مسيحيون في انتخابات 2006 صوتوا لنا. وأن تكون متديناً لا يعني أنك ضد الآخر، بل بالعكس، نحن نريد أن نرسخ ثقافة التعايش والحوار وليس ثقافة التعصب ضد الدين الآخر، أو التعصب للفكر، أو التعصب للانتماء. ونموذج الإنسان العادي في فلسطين يمزج بين التدين العام والروح الوطنية والنضالية بصورة طبيعية، مثال ذلك الشيخ عز الدين القسام، وهو من أصل سوري. عز الدين القسام شيخ، ومع ذلك فهو أكبر رمز في التاريخ

الجهادي الفلسطيني. ونحن أطلقنا اسمه على الجناح العسكري لـ "حماس". ولم تكن مشيخة عز الدين القسام مانعاً من انخراطه في المقاومة، بل كانت حافزاً. الشهيد عبد القادر الحسيني لم يكن شيخاً ولا عالماً، لكن لم يكن لديه تناقض بين هويته الإسلامية وهويته الوطنية الفلسطينية. أن يكون الدين بعيداً عن المعركة، سواء بسبب الأوضاع الضاغطة، أو بسبب تقصير الإسلاميين، أو لسبب الأوضاع الصعبة التي عاشوها، أمر غير طبيعي. الطبيعي أن يكون الدين حاضراً في المعركة، أولاً، لأننا في بيئة عربية إسلامية الدين فيها أمر طبيعي، ثانياً، لأن الدين أساسي في المعركة. وإدخال الدين في المعركة لا يُعدُّ توظيفاً له، بل هو أمر طبيعي أن تكون مسلماً وعربياً أو فلسطينياً، كالمناضل الفرنسي المسيحي الذي حارب النازية، أو مثل نيلسون مانديلا المسيحي حين مارس نضاله الوطني في جنوب إفريقيا، أو الشعب الفيتنامي، أو الشعب الكوبي. الإنسان يجب أن يكون متصالحاً مع انتمائه الحضاري، ومع جذوره الفكرية والتاريخية. "حماس" أعادت الوضع الطبيعي، من دون أن تقول إن الآخرين ليسوا إسلاميين. "حماس" لم تخترع المقاومة لأن هناك من هو أسبق منها. لكن "حماس" عمّقت خط المقاومة وبنت على جهود الآخرين السابقين، أي أنها أكملت المسيرة. فـ "حماس" أتت إلى تجربة المقاومة الفلسطينية بعدما أصاب هذه التجربة كثير من الملاحقة والحصار، وخصوصاً بعد بيروت في سنة 1982 وتشتت المقاومة الفلسطينية والبندقية الفلسطينية في الدول المختلفة، علاوة على الحصار الذي أطبق على الثورة الفلسطينية في الداخل والخارج. فجاءت تجربة "حماس" في ظل الانتفاضة الأولى، ثم امتداداً إلى الانتفاضة الثانية، لتعمّق التجربة وتعطي دفعاً جديداً لخيار المقاومة، وتعيد الاعتبار له وتضيف إليه تجربة جديدة وعطاءً جديداً.

الأهداف والتطلعات

■ ما هو هدف "حماس"؟

□ هدفها التخلص من الاحتلال واستعادة الأرض. مشروع "حماس" هو إنهاء الاحتلال الصهيوني وتحرير فلسطين وتحرير المقدسات واستعادة الشعب الفلسطيني حقوقه وعودة اللاجئين إلى أرضهم ووطنهم وديارهم واستعادة القدس. هذه هي الأهداف الوطنية الفلسطينية الكبرى.

■ وبناء دولة إسلامية؟

□ أولوية "حماس" اليوم هي استعادة الوطن، تحرير الوطن، وطرد الاحتلال، وإنهاء المعاناة الفلسطينية، ووقف هذا الظلم الواقع على شعبنا، وتطبيق حق تقرير المصير، وإنهاء معاناة التشرد لستة ملايين فلسطيني. هذه هي الأولوية الآن. لذلك نحن نلتقي مع شركائنا جميعاً في الساحة الفلسطينية أكانوا في "فتح"، أم في بقية المنظمات كالجهاد الإسلامي مثلاً. لكن ليس من أولوياتنا التفكير في طبيعة الدولة التي ستنشأ. لا أريد أن أقع في الخطأ الذي وقعت فيه منظمة التحرير حين استعجلت الحديث عن الدولة قبل أن تنجز هدف التحرير، فتحدثت في سنة 1988 عن دولة بلا سيادة، وبلا أرض، كنوع من التعبير النفسي والمعنوي والسياسي. واليوم ما زال البعض يتحدث عن الدولة وهو لا يملك السيادة على الأرض. إنه يمارس الحكم الذاتي، أي سلطة بلا سيادة. نحن اليوم لسنا مع الحديث عن الدولة. الأولوية هي التحرير، وعندما نمتلك السيادة على الأرض نتحدث عن الدولة. حين نصبح أصحاب سيادة على أرض الوطن وننشئ الدولة نتباحث كفلسطينيين في هوية الدولة. والحَكَم بيننا هو اللعبة الديمقراطية. نحن لا نُكره الناس إكراهاً، هذا ليس شأننا، وهذا ليس حقاً لنا، ثم هو ليس من طبيعتنا وليس من تفكيرنا، لأن المسائل كلها عندنا تقوم على الاختيار. هناك لعبة ديمقراطية. والشعب بمجموعة وعبر اختياره الحر هو الذي يقرر هوية الدولة كما يحدث في أي دولة في العالم. وفي جميع الأحوال، الأصل أن تكون أي دولة متصالحة مع شعبها ومع أمتها ومع جذورها الحضارية، ومنفتحة على العالم وبعيدة عن التعصب، وأن تكون متسامحة، وأن تكون وعاء الوطن الذي يستوعب الجميع.

■ هناك مَن يعتقد أن هذه الرؤية هي رؤية خالد مشعل فقط، لأن في "حماس" قيادات، ولا سيما في الأراضي المحتلة وفي غزة بالتحديد، لديها رؤى تختلف تماماً عن هذه الرؤية؟

□ سمعت مثل هذا الكلام، لكنه مجرد كلام يحكم بناء على بعض الظواهر ولا يحكم على جوهر الأشياء. ما أقوله ليس فكر خالد مشعل فحسب، إنه أيضاً فكر "حماس" كحركة. لكن قد تجد داخل "حماس"، وهي حركة كبيرة جداً، أصواتاً تعبّر بلغة أخرى. هذا جزء من التنوع. أنا أتكلم على الفكر المعتمد في الحركة، وعلى الفكر المتبنى في

مؤسسات الحركة. هذا هو فكرنا. قد تحصل أخطاء هنا، وبعض الشطط هناك، لكن الخط الأساسي في الحركة هو هذا الخط. نحن نريد أن نكرّس ثقافة التسامح والوسطية. ونحن كحركة تحرر تتبنى الفكر الإسلامي، نعتمد الفكر الوسطي لا الفكر المتشدد ولا المتطرف. نحن نريد أن تسود الساحة الفلسطينية الحرية، والتداول السلمي للسلطة، واحترام اللعبة الديمقراطية والقبول بنتائجها، وعدم السماح لأحد بفرض الدكتاتورية، أو أن يفرض علينا أحد تدخلات خارجية مهما تكن.

■ **عودة إلى الجانب الشخصي. ماذا كان دورك في حركة "حماس" منذ سنة 1987 فصاعداً، علماً بأن المكتب السياسي للحركة أُسس بعدما تركت الكويت؟**

□ إضافة إلى دوري في مرحلة التأسيس، كنت عضواً في أول قيادة غير معلنة لحركة "حماس" خلال سنتَي 1985 و1986 قبل أن يعلن عن إنشاء الحركة رسمياً في سنة 1987.

■ **هل كانت هذه القيادة مشتركة بين الساحات؟**

□ كانت هذه القيادة على تواصل مع قيادات الحركة في الضفة والقطاع، وتدير القرار وفق نظام معين نظراً إلى الأوضاع الصعبة التي كانت تعيشها الحركة. وفي سنة 1992، مع نشوء المكتب السياسي، كنت عضواً في المكتب السياسي ونائباً لرئيس المكتب السياسي الدكتور موسى أبو مرزوق، إلى أن استلمت رئاسة المكتب السياسي سنة 1996. الدكتور موسى اعتقل في سنة 1995، وفي أثناء وجوده في السجن، جاءت استحقاقات الانتخابات الدورية، وانتُخبت رئيساً للمكتب السياسي.

■ **هل تجري الانتخابات كل عامين أو ثلاثة أعوام؟**

□ لها مواعيد دورية معينة. نحن نمارس الديمقراطية بشكل راسخ. والقيادة تأتي كلها عن طريق الانتخاب. لدينا مجلس شورى للحركة، ولدينا قيادة سياسية (المكتب السياسي).

■ **هل الاثنان منتخبان؟**

□ كله منتخب، مجلس الشورى منتخب، والمكتب السياسي منتخب.

■ **هل تركت الكويت في سنة 1990 مع حرب العراق؟**

□عندما وقع الاجتياح العراقي في آب/أغسطس 1990 كنت في زيارة صيفية لعمّان. بعد الاجتياح بعدة أيام عدت إلى الكويت ورتبت أموري ثم غادرت إلى الأردن ومارست عملي في الحركة هناك، فعملي في الحركة كان يستوجب ذلك.

■ **إن الذي ميّز "حماس" في تلك الفترة، من معظم فصائل م.ت.ف. هو استنكارها لاجتياح العراق الكويت.**

□ "حماس" بطبيعتها حركة تسعى لأن تكون متوازنة، وأن ترى الصورة من جميع زواياها، وهي ضد سياسة المحاور. هذا جزء من ثقافة الحركة وسياساتها المبكرة، وستبقى عليها. وهذا ما دفعنا إلى اتخاذ موقف متوازن، فكنا ضد غزو الكويت، وفي الوقت نفسه ضد ضرب العراق من جانب التحالف الثلاثيني. هذا الموقف المتوازن ربما كان غريباً عن الآخرين الذين اصطفوا هنا أو هناك، لكننا منسجمون مع أنفسنا لأننا لا نرى أي مشروعية لغزو يقوم به بلد عربي ضد بلد عربي آخر، كما أننا لا نقبل أي عدوان أجنبي على أي بلد عربي أو مسلم.

"حماس" والسلطة الفلسطينية والعمليات الاستشهادية

■ **قامت "حماس" في أواسط التسعينيات بدور كبير في تدمير عملية أوسلو من خلال العمليات التي نفذتها داخل إسرائيل. وكردة فعل على ذلك، دمّرت إسرائيل السلطة تقريباً. بوجود ياسر عرفات، لم يكن ممكناً أن يحتل أحد مكانة "فتح"، لكن بعد غيابه انفتحت الاحتمالات جميعها. ما تقويمكم لفترة ما بعد عرفات، ولا سيما اتفاق القاهرة والانتخابات التشريعية واتفاق مكة، لأن هذه محطات رئيسية؟**

□ "حماس" لم تسع لتدمير عملية السلام في التسعينيات. كانت "حماس" ضد اتفاق أوسلو، وكنا نراه مجحفاً ولا يقود لا إلى استقلال ولا إلى دولة فلسطينية ولا إلى حقوق شعبنا، لكن عندما تحاورنا مع الأخوة في السلطة الفلسطينية في القاهرة في كانون الأول/ديسمبر 1995 قلنا لهم نحن ضد أوسلو، ومع ذلك فإن أي إنجاز تتمكنون من تحقيقه لن نعترض عليه، إنما يجب ألاّ يكون على حساب تعطيل مشروعنا في المقاومة. وقلنا لهم هل تصدقون أنكم ستحصلون على ما تريدونه إذا لم يكن عندكم قوة ضاغطة على العدو؟ قلنا لهم أنتم لديكم مشكلة كبرى في إنجاز المرحلة الأولى من أوسلو، فكيف عندما تصلون إلى المرحلة النهائية ويبدأ الحديث عن القدس وعن حق العودة وعن الحدود وعن المعابر؟ من دون مقاومة لا نستطيع إجبار إسرائيل على الإقرار بحقوق الشعب الفلسطيني.

■ **هل تذكر ما قاله حيدر عبد الشافي لأبو عمار عنكم: "ليش هيك عم تعمل فيهم بيجوز يجي يوم تحتاجهم"؟**

□ أحسنت. لكن طبيعة أوسلو كاتفاق أمني تفرض على السلطة أدواراً أمنية، وربما كان الضغط الإسرائيلي – الأميركي هو الذي دفع السلطة إلى العمل ضد "حماس" وضد فصائل المقاومة وسلاحها. أضعفونا ووضعونا في السجون، لكنهم لم يقضوا علينا، وكنا نعلم أن هذه ستكون مرحلة موقتة واستثنائية.

■ **كان هناك ضربات متتالية، مَرة من السلطة ومَرة من إسرائيل، وملاحقات أمنية واغتيالات. والانطباع هو أن البنية التحتية العسكرية لحركة "حماس" في أواخر التسعينيات شارفت على التفكك.**

□ كلا، لم تكن مشرفة على التفكك. النضال الفلسطيني فيه مد وجزر وصعود وهبوط، وهو ليس متواصلاً بالوتيرة نفسها. نحن نعتبر أن "حماس" كانت في التسعينيات تستهدف مواجهة المحتل والرد على العدوان الصهيوني وحماية شعبها وليس استهداف عملية التسوية، لأننا كنا على قناعة بأن عملية التسوية تحمل بذور فشلها في ذاتها. الناس جميعهم تكلموا على عملياتنا الشهيرة في سنة 1996، هذه العمليات التي تحدث عنها شمعون بيرس دائماً في مقابلاته بالقول إن "حماس" قضت على مستقبله السياسي وإنها أقصته عن الحكم. هذه العمليات الاستشهادية الكبيرة جاءت رداً على اغتيال المهندس يحيى عياش، وكانت مقاومة للمحتل. وما دمنا نعيش تحت الاحتلال فمن الطبيعي أن نقاوم المحتل، فكيف إذا صعّد المجازر ضدنا كمجزرة الأقصى والحرم الإبراهيمي وغيرهما. إن هذه المجازر استدعت منا التركيز على العمل الاستشهادي في سنوات 1994 و1995 و1996. ولمّا اغتالوا يحيى عياش في كانون الثاني/يناير 1996، جاء الرد في مستوى تلك الجريمة.

■ **يحيى عياش كان قائداً عسكرياً، لكن الرد على اغتياله استهدف مدنيين إسرائيليين. وعلى وجه العموم، كيف تبرر حركة "حماس" ضرب مدنيين بدلاً من أن تضرب جنوداً أو قيادات إسرائيلية كرد على الاحتلال واعتداءاته؟**

□ الذي جعل المعركة مفتوحة هو العدو. كنا في الانتفاضة الأولى وما بعدها حتى الانتفاضة الثانية، نركّز على الجندي الإسرائيلي وعلى المستوطن. لكن عندما فتحت إسرائيل المعركة على المدنيين عاملناها بالمثل. وهذا من حق المقاوم. عملياتنا الاستشهادية متى بدأت؟ بدأت بعد مجزرة الحرم الإبراهيمي في الخليل في سنة 1994، وبعد لجوء العدو إلى المجازر وإلى التركيز على المدنيين الفلسطينيين، بل على المصلين في الحرم الإبراهيمي وقبل ذلك في المسجد الأقصى في سنة 1990. هذا السلوك الإسرائيلي استدعى العمليات الاستشهادية. ثم إننا في سنة 1996، وهذه أقولها للتاريخ ومن الجيد أن نوثقها، أبدينا استعدادنا لتحييد المدنيين في الصراع بين الطرفين. إسرائيل رفضت.

■ **هناك من يقول إن أخلاقنا هي التي يجب أن تميزنا من العدو في صراعنا معه، فإذا تعاملنا مع العدو بالمثل نكون كمن ينزل إلى مستواه.**

□ في جميع القوانين والشرائع المعاملة بالمثل مشروعة، وخصوصاً من جانب الضعيف. عندما يكون لديك القوة الكافية والنديّة مع العدو تستطيع أن تقاومه وتركز على العسكريين فقط. لو كنت دولة تملك طائرات كما تملك إسرائيل، وتملك صواريخ ودبابات وتملك القدرة العسكرية، عند ذلك تستطيع أن تسدد الضربات إلى العسكريين وإلى المواقع العسكرية وتوجعه وتكتفي بذلك. لكن عندما تكون شعباً شبه أعزل تحت الاحتلال، ولا تملك القدرة العسكرية الندّيّة، وترتكب إسرائيل بحقك المجازر، وتستعمل ضدك كل ما في ترسانتها العسكرية، فلا يعقل أن تطالب الضحية شبه العزلاء بأن تدير المعركة بهذه الرهافة المتناهية. هذا أمر يشبه شخصاً موجوداً في بيته، ثم

تهاجمه مجموعة؛ وأنت عندما تدافع عن بيتك لن تفكر هل هذا الذي هاجمني مسلح أو غير مسلح، ولن تفكر في الذي يلتقط الصور. الحالة الفلسطينية ليست حرباً متكافئة، ولا حرباً بين دولتين، ولا حرباً بين جيشين.

■ **هناك من يقول إن القضية ليست قضية حق فحسب، بل هي قضية يتطلب النجاح فيها كسب الدعم الدولي أيضاً. والعمليات الموجهة إلى المدنيين تأتي نتيجتها عكس ذلك.**

□ هذا كلام جيد لو كان العالم يقدره. أبو عمار صالح الإسرائيليين ووقّع معهم اتفاقات وسار في عملية السلام وأخذ جائزة نوبل، أليس كذلك؟ وبالتالي كسب تعاطف الرأي العام الدولي، وفتحت له عواصم غربية كثيرة بما فيها واشنطن أبوابها، ومع ذلك ماذا فعلوا له؟ لم يحترموا الاتفاقات معه، ولم يصلوا معه إلى الحل النهائي ولا حتى إلى الحل المرحلي. ولم يصلوا معه إلى الدولة ولم يكافئوه على هذا الخيار الذي سار فيه. وأكثر من ذلك، انقلبوا عليه وقتلوه بالسم رحمه الله.

■ **هناك من يتحدث عن طريق ثالث. يُقال إن عرفات سار في مفاوضات بلا نضال، وأنتم تسيرون في عمليات بلا أفق عمل سياسي.**

□ العمل السياسي موجود لدينا. تقوم رؤية "حماس" على المزاوجة بين العمل العسكري والسياسي. نحن لسنا مع العمل العسكري وحده. "حماس" حركة متكاملة، وإدارة الصراع مع المحتل تحتاج إلى برنامج شامل، المقاومة جزء منه، لكنه جزء أساسي، بل العمود الفقري، لأن المقاومة هي الوسيلة الفاعلة للتخلص من الاحتلال واستعادة الأرض والحقوق، ويتضمن البرنامج كذلك السياسة والإعلام والعمل الجماهيري والدبلوماسية. نحن مع البرنامج الشامل في هذا المجال، لكن للأسف يركز البعض الآن على العمل السياسي وحده.

■ **يبدو أن إسرائيل تمكنت من استدراجكم، مرات متتالية، ومعكم القضية الفلسطينية، إلى العمل العسكري الذي نحن فيه الطرف الأضعف. الفلسطينيون أضعف وإسرائيل أقوى، وهذا يعني أن إسرائيل تمكنت من زحزحة الصراع من الملعب السياسي الشعبي، الذي حالنا أفضل فيه، إلى الملعب العسكري.**

□ هذه المقولة غير صحيحة، بل إنها مضللة. يُقال إن من الخطأ أن نلعب في الملعب العسكري لأن إسرائيل تكون الأقوى في هذا الملعب، بينما الملعب السياسي ليس كذلك. من قال إننا أقوى من إسرائيل في الملعب السياسي؟ الملعب السياسي هو انعكاس للملعب العسكري. ويخطئ من يظن أن السياسة هي الفهلوة والشطارة والدبلوماسية الناعمة المجردة من أوراق القوة. السياسة هي انعكاس للواقع على الأرض. فلذلك يخطئ من يذهب إلى الملعب السياسي مجرداً من المقاومة ومن أدوات القوة، وهو يعتقد أنه أقوى من إسرائيل، وأنه سيحرج إسرائيل.

ومن الزاوية الأُخرى، نعم إسرائيل أقوى منا عسكرياً، لكن ذلك لا يعني عدم القدرة على مقاومتها، وإلاّ ما استطاع شعب في العالم أن يحرر أرضه ويقهر المحتلين. فلسفة المقاومة ليست قائمة على أساس تعادل القوة، بل على أساس استنزاف العدو عبر النَّفَس الطويل، وإفقاده الأمن ومضاعفة تكلفة احتلاله وعدوانه، وخلق حالة من توازن الرعب تجبره في نهاية المطاف على الانسحاب. فضلاً عن قوة الأساس الأخلاقي الذي تستند إليه المقاومة في مواجهة باطل الاحتلال وظلمه وعدوانه.

■ **هل يمكنكم مقارنة دور الشعب في الانتفاضة الأولى بالعمليات والأساليب التي استُخدمت في الانتفاضة الثانية؟**

□ بدأت الانتفاضة الأولى شعبية بالحجارة، ثم انتهت بالبندقية وبالعمليات الاستشهادية. من الذي فرض عليها التغير؟ السلوك الإسرائيلي. لو أن إسرائيل واجهت المقاومة الشعبية من دون استعمال العنف, لكانت المقاومة بقيت شعبية. لكن عندما وجدت الجماهير أن مقاومتها بالحجارة تُواجه بالرصاص المطاطي ثم بالرصاص الحي ثم بالمدافع ثم بطائرات الأباتشي، كان من المحتم أن تتطور مقاومتها الشعبية إلى مقاومة مسلحة. وأضيف: نحن في سنة 2003 وافقنا على التهدئة من طرف واحد. وكذلك سنة سنة 2005، وافقنا على التهدئة من طرف واحد أيضاً. كيف تعامل معنا المجتمع الدولي؟ لا شيء. للأسف نحن أمام عالم لا يحترم إلاّ لغة القوة.

■ لنقارن التجربة الفلسطينية بتجربة جنوب إفريقيا، أو تجربة "حماس" بتجربة حزب الله. حزب الله عندما كان مقاتلوه يقصفون أهدافاً مدنية إسرائيلية بصواريخ الكاتيوشا من جنوب لبنان كان المجتمع الإسرائيلي بأكمله يلوم الحكومة الإسرائيلية لا حزب الله.

□ لكل تجربة خصوصيتها. جنوب أفريقيا لها تجربة، فيتنام لها تجربة، فلسطين بحد ذاتها لها تجربة، ولبنان له تجربة، والمقاومة العراقية لها تجربة. وتجربة حزب الله، على سبيل المثال، تتلخص في أن إسرائيل احتلت الشريط الجنوبي اللبناني، وكان لها فيه جنود فقط. وبالتالي كان حزب الله يحارب هذا الجندي المحتل، وكان له عمق استراتيجي كبير يمتد من لبنان إلى سورية وحتى إيران، ومدعوم بشكل كبير بأصناف التكنولوجيا العسكرية كافة. في الحالة الفلسطينية هناك تداخل، هناك شعب فلسطيني وهناك شعب إسرائيلي يمارس الاحتلال مع جيشه، أنت لا تتعرض لاحتلال عسكري فقط. في داخل فلسطين ثمة جندي ومستوطن وإنسان إسرائيلي. وهذا التداخل يجعل طبيعة المعركة مختلفة. هل يجوز أن نحاكم التجربة الفلسطينية قياساً على التجارب الأُخرى؟ إن إسرائيل تصر على أن تقتل المدني الفلسطيني، ويجب ألاّ يلام الفلسطيني شبه الأعزل حين يدافع عن نفسه بكل ما يملك، وخصوصاً أنك أمام شعب فلسطيني محاصر من ناحية الحدود العربية، ويمنع عنه السلاح. لذلك نحن الآن نصنع صواريخنا محلياً، وسلاحنا نشتريه من الداخل. أنت أمام شعب تمارس إسرائيل بحقه جميع أشكال الاحتلال والظلم والعدوان والقتل. وفي الوقت ذاته فإن هذا الشعب لا يملك العمق. نعم، يملك عمقاً عربياً إسلامياً شعبياً، لكن لا يملك عمقاً رسمياً يدعمه ويسنده ويوفر له السلاح حتى يخوض معركته بطريقة مختلفة. ومع ذلك قلنا مراراً إنه إذا أرادت إسرائيل تحييد المدنيين من الطرفين في المعركة فنحن جاهزون. لكن لا يحق لأحد أن يقيد السلوك الفلسطيني في المقاومة بينما السلوك الإسرائيلي ليس مقيداً.

التجربة الجديدة: المشاركة في الانتخابات

■ ننتقل إلى مرحلة ما بعد عرفات. لا شك في أن "حماس" شعرت بأن غياب عرفات مثّل منعطفاً تاريخياً فتح فرصاً جديدة أمامها، وخصوصاً أن ضعف وارثه سياسياً كان واضحاً منذ البداية. من دون الدخول في تفصيلات العلاقات مع أبو مازن أو منظمة التحرير أو "فتح"، ما هو تقويمك لتجربة "حماس" بين سنتَي 2005 و2007؟ هل أسفتم على المشاركة في السلطة الفلسطينية، وعلى انتصاركم الانتخابي في سنة 2006، أو على مشاركتكم في الحكومة؟

□ لا شك في أن غياب ياسر عرفات رحمه الله، أو تغييبه بتعبير أدق، عبر تسميمه، فتح المنطقة على أوضاع جديدة وعلى أحوال جديدة، وجعل الحالة الفلسطينية أمام ملامح مختلفة عما سبقها، ولا سيما في الشأن الداخلي الفلسطيني. إن بعض المتغيرات في ترتيب الساحة الفلسطينية داخلياً ربما لم يكن ممكناً أن يتم في مرحلة ياسر عرفات، بينما أمكن ذلك بعد ياسر عرفات، لأن كل مرحلة لها استحقاقاتها ولها طبيعتها. وفي تقديري إن تطور وضع "حماس" وموقعها في الساحة الفلسطينية وفي النضال السياسي الفلسطيني، كان لا بد من أن يصل إلى ما وصل إليه حتى لو ظل ياسر عرفات حياً، لأنه في النهاية تطور يفرض نفسه على الواقع.

لقد اتفقنا مع ياسر عرفات في عز قوته أحياناً، واختلفنا معه كثيراً في عدة محطات، وخصوصاً فيما يتعلق بأوسلو والعملية السياسية. بعد مؤتمر كامب ديفيد سنة 2000، كانت مقاربة ياسر عرفات في التعامل مع الانتفاضة، تجمع المفاوضات إلى المقاومة. عرفات كان مختلفاً عن خلفه من هذه الناحية، وهذا يُسجّل له. وعندما حاصرته أميركا وإسرائيل وقفنا معه ضد الحصار الأميركي والاستهداف الإسرائيلي. هذا منطق الرجولة ومنطق تحديد الأولويات الوطنية بشكل صحيح، بينما من كان عالة على ياسر عرفات سياسياً ومالياً انقلب عليه يوم أن رأى التشجيع الأميركي والدولار الأميركي. نعم، كان لدى ياسر عرفات في الشأن الداخلي طريقة لا تسمح بالتغييرات وبالإصلاحات وبإشاعة الحالة الديمقراطية، بينما هذا ما حدث فعلاً بعد ياسر عرفات. وأبو مازن في مرحلته الأولى قام بخطوات تحُسب له، ونحن قدّرناها، حين ذهب إلى الانتخابات وأجرى بعض الإصلاحات وإن كانت لم تستكمل. ولا شك في أن هذه المرحلة سمحت، في ظل غياب ياسر عرفات وطريقة ياسر عرفات في الحكم، بإدارة الشأن الداخلي بصورة مختلفة، الأمر الذي أتاح بعض الإصلاحات وبعض التغيير في أدوات الحكم، وبالتالي أمكن الحديث عن الديمقراطية وعن الانتخابات البلدية وغيرها. وهذا، لا شك فيه، منحى إيجابي. لكن أبو مازن في الوقت ذاته، فسح المجال أمام القيادة الفلسطينية لحصر إدارة الصراع في النمط السياسي التفاوضي المجرد، وهذا منحى سلبي، إذ إن تركيز القيادة الفلسطينية، وقيادة منظمة التحرير، صار منصبّاً على هذا النمط. وهذا انعكاس لقناعة

بعض أفراد هذه القيادة، وخصوصاً أبو مازن، الذين يصرّون على التركيز على السياسة وعلى المفاوضات بعيداً عن القوة والمقاومة، وعن أي شكل من أشكال الانتفاضة. هذا نمط جديد يختلف عن مرحلة ياسر عرفات وكان له انعكاسات سلبية في إدارة الصراع، وقد أضعف الحالة الفلسطينية. وبالإضافة إلى ذلك رافقت المرحلة الجديدة التي بدأت في سنة 2005، حالة من الهشاشة في الوضع الفلسطيني، الأمر الذي فتح المجال أمام التدخلات العربية والأجنبية. وبالتالي أصبحت الساحة الفلسطينية والحالة الفلسطينية أقل حصانة أمام أدوار الآخرين. هذه كانت معالم المرحلة ما بعد سنة 2005.

سألتني عن الانتخابات. بداية، لماذا سُمح بها؟ الجواب أن هذه الانتخابات جاءت في مرحلة تقاطعت فيها عدة تقديرات لأطراف اللعبة، منها أميركية ظنّت أن فرض الديمقراطية على المنطقة يمكن أن يقضي على التطرف بحسب المفهوم الأميركي، وأن يقلّل الأسباب التي تقود إليه. وقد اعتقد الأميركيون أن المقاومة الفلسطينية أو العراقية أو العربية بشكل عام هي حالة ناجمة عن الاحتقان الداخلي والدكتاتورية، وأنها مجرد ردة فعل غير مستندة إلى مشروع وطني في مواجهة احتلال، وهذا جزء من السطحية الأميركية في التعامل مع الحالة العربية ومع قضايا المنطقة. وقد تقاطع معها إحساس بأن "حماس"، وكانت خارج النظام السياسي الفلسطيني حتى ذلك الوقت، أصبحت تؤثر في القرار الفلسطيني من دون أن تكون جزءاً من النظام القائم، ومن دون أن تتحمل مسؤوليات هذا النظام. ويبدو أنه تكوّنت قناعة لدى الأميركيين وبعض الأطراف العربية والفلسطينية بأن دمج "حماس" في النظام السياسي الفلسطيني يسمح باحتوائها وتحميلها المسؤولية، وبفرض قرار الأغلبية عليها. كانوا يفترضون أن "حماس" ستكون أقلية، وسيعطونها حصة داخل النظام السياسي الفلسطيني، على أن تخضع لقرار الأغلبية. ولهذا سُمح بالانتخابات كممر إجباري أملاً باحتواء "حماس". كما أنه بعد رحيل ياسر عرفات، كان من المرغوب فيه القيام بإصلاحات معينة، لاعتقادهم أن القيام ببعض الإصلاحات السياسية والمالية قد يكون جيداً لاستيعاب الحالة الفلسطينية ودفعها بعيداً عن خيار المقاومة، على أن يصبح المال الفلسطيني تحت السيطرة، فلا يتوجه إلى الأجنحة العسكرية كما كانت عليه الحال في عهد ياسر عرفات.

■ هذه اعتباراتهم. ماذا كانت اعتباراتكم أنتم؟

□ اعتباراتنا كانت تقول إن الأوان حان للدخول في هذه التجربة. كنا في الماضي أيام ياسر عرفات ندعو إلى إعادة ترتيب البيت الفلسطيني، وإعادة بناء منظمة التحرير الفلسطينية. لكن منذ سنة 2005، بدأت تتكون لدينا قناعة بأن الأوان قد حان لـ "حماس" كي تشارك في هذه التجربة لتحقيق عدة أمور:

أولاً، للقيام بمجموعة من الإصلاحات التي باتت ضرورية للشعب الفلسطيني، علاوة على محاربة الفساد الذي أصبح عبئاً على الجميع، بعدما أصبح الإصلاح ومحاربة الفساد وتغيير هذا الواقع مطلباً شعبياً فلسطينياً لا تستطيع "حماس" أن تتجاهله، ولا بد لها من أن تشارك في هذه المسؤولية من موقع السلطة ذاتها.

ثانياً، أن السلطة، مع أنها سلطة حكم ذاتي ولا تملك السيادة، أصبحت تتحكم في حياة الناس ومصيرهم، وبالتالي، فإن تركها بأدائها السيئ في جميع المجالات، بما فيه إدارتها للشأن الوطني ولموضوع الحقوق الفلسطينية، وموقفها السلبي من المقاومة وسلاحها، وخصوصاً في ظل الوضع الجديد الذي لا يؤمن أصلاً لا بالمقاومة ولا بالانتفاضة، كان يعني أن نبقى مكشوفين أمام سلطة لا تحمي ظهرك ولا تحمي برنامجك ولا تحمي سلاحك ولا تحمي المقاومة. فكان لا بد من أن نشارك في هذه السلطة عبر بوابة الانتخابات وصناديق الاقتراع لنحمي برنامج المقاومة ولنحمي الحقوق الفلسطينية، ولنخفف من تسلط هذه السلطة على الحياة اليومية للشعب الفلسطيني.

■ لكن حركة الجهاد الإسلامي مثلاً، رفضت المشاركة السياسية.

□ الجهاد لها حسابات مختلفة، ونحن نحترم ونقدّر ذلك، لكن لك أن تستحضر حجم الجهاد وحجمنا، ومن ثم ما يترتب على ذلك من تفاوت حجم المسؤولية الملقاة على كل منا.

■ لا توجد قاعدة شعبية لها؟

□ الجهاد حركة محترمة، والأخوة فيها هم شركاؤنا وزملاؤنا في النضال، لكن مسؤوليات "حماس" أكبر بحكم وزنها وحجمها، كما أن مطالب الشعب الفلسطيني من "حماس" أكبر. فـ "حماس" اليوم مثل الأخ الأكبر، عليه مسؤوليات كبيرة.

■ **ربما كان لديكم اعتبار آخر، وهو أن المشاركة السياسية وخوض العملية الديمقراطية والدخول إلى عالم التشريع، يخفف عنكم الضغط الدولي. لكن ما حدث هو العكس، فالحصار فرض عليكم كحركة وكحكومة، وزاد على ما كان عليه في سنة 2005. فهل ندمتم؟**

□ لسنا نادمين. لدينا تقويمنا ولدينا الشفافية والصدق مع الذات عندما نجري التقويمات داخل مؤسسات الحركة القيادية. ولا شك في أن هذه التجربة كانت جديدة ولها سلبياتها وإيجابياتها، وليس هناك تجربة كلها إيجابيات، كما أنه ليس هناك تجربة كلها سلبيات.

■ **ومع ذلك، لماذا أنتم لستم نادمين؟**

□ ما دمت قدّرت الموقف السياسي، والموقف العام في ذلك الوقت، واخترت خياراً يستجيب لمطالب شعبك ولضرورات وطنية فأنت لا تندم. عندما تقوم بواجبك في مرحلة ما حتى لو واجهتك صعوبات ومشكلات، وأصابتك جراح، فأنت لا تندم على قيامك بالواجب. ثم إننا اليوم نرى صورة التداعيات التي ترتبت على مشاركتنا، لكننا لا نأخذ في الاعتبار التداعيات التي كان من الممكن أن تترتب على عدم مشاركتنا. من قال إننا لو لم نشارك لكان وضعنا أفضل، ولما كنا تعرضنا لضغوط دولية وضغوط إقليمية وضغوط من السلطة ذاتها، وخصوصاً على برنامج المقاومة والبرنامج السياسي والوطني؟

"فتح" و"حماس": شقاء الفريقين

■ **والانقسام، هل كان سيحدث لو لم تشاركوا في السلطة؟**

□ نعم، أعتقد أنه كان سيحدث للأسف على جميع الأحوال، ولو لم تشارك "حماس" لكانت الحال أسوأ. قطعاً كان الضغط من جانب الأميركيين والإسرائيليين على القيادة الفلسطينية لمنع المقاومة ونزع سلاح المقاومة سيشتدّ، وكانت "حماس" ستبدو كأنها خارجة على الشرعية. نحن اليوم لدينا أغلبية، ومع ذلك يعتبروننا خارج الشرعية. فكيف لو لم نشارك في الانتخابات؟ الوضع الذي نعيشه اليوم ليس سببه المشاركة في الانتخابات، وإنما سببه أن إسرائيل تريد أن ترتب الحالة الفلسطينية على مزاجها، وأميركا تريد أن ترتب السلطة كما تشاء. تريدنا حالة فلسطينية بلا مقاومة، وتريد تخفيض سقوفنا السياسية حتى نقبل حتى بأقل من الشرعية الدولية، وأقل من الأراضي التي احتلت في سنة 1967. شارون سابقاً وأولمرت لاحقاً وضعا فيتو على حق العودة وعلى القدس مع التمسك بالاستيطان، وبوش أيد ذلك، وكان على القيادة الفلسطينية أن تقبل بذلك. العلة الحقيقية هي أن الإدارة الأميركية لا تريد لك كفلسطيني أن تظل متمسكاً بحقوقك، وأن تديرها بالطريقة الصحيحة. هي تريد أن تحرمك حق المقاومة وأن تخفض سقفك السياسي وأن تتدخل في أمورك الداخلية. ومشاركتنا كشفت العلّة ولم تصنع العلّة، وهذا أمر بالغ الأهمية. إن فوز "حماس" بالأغلبية جاء معاكساً للتوقعات والحسابات الأميركية واستطلاعات الرأي وتقديرات الأجهزة الأمنية الإقليمية والدولية والإسرائيلية والفلسطينية أيضاً. هذه مفاجأة استدعت سلوكاً غير عاقل من الأميركيين ومن أطراف إقليمية تجسّد في محاصرة "حماس" والانقلاب على نتائج الانتخابات. وأنا أقول: مع كل ما جرى ما زلنا رقماً صعباً لم تستطع الإدارة الأميركية ولا حلفاؤها في المنطقة ولا حلفاؤها في الساحة الفلسطينية أن يغيّروا الواقع. وأقول لك: نعم، الانقسام الفلسطيني كان سيحدث ما دام هناك فريق لا يريد أن يحتكم إلى التجربة الديمقراطية، ويريد أن يستأثر بالسلطة ويحافظ على فساد السلطة وعلى امتيازاتها ويعتبر السلطة بقرة حلوباً، ولا يريد سلاح المقاومة، ويريد أن يدير التفاوض على هواه، وهناك أميركا التي تطلب تنفيذ خريطة الطريق واستحقاقاتها الأمنية. فبالتالي الانقسام ليس سببه انخراطنا في الانتخابات، وإنما التدخل الخارجي ووجود فريق فلسطيني لديه قابلية لأن يتعاطى مع التدخلات الخارجية دفاعاً عن مصالحه الشخصية.

■ **تتكلم على فريق من غير أن تسمي "فتح". هل تميّز بين "فتح" وذاك الفريق؟**

□ طبعاً طبعاً أنا لا أعمم. "فتح" فيها مناضلون، فيها أناس محترمون. "فتح" حركة نضالية تاريخية نحن نحترمها، لكن هذا الفريق اختطفها، وهذا الفريق حددته مجلة Vanity Fair، وتحدثت بالمعلومات عن الدعم الأميركي والإسرائيلي له، وهو معروف لدى جميع الدول العربية ودول المنطقة والعالم. هذا فريق فاسد ومفسد وفريق لا يبالي بفلسطين، وإنما يبالي بمصالحه الشخصية فقط، وهو مستعد لأن يضحي بالشعب وبالوطن من أجل

مصالحه الشخصية. مستعد لأن يركب الدبابة الإسرائيلية ودبابة التدخل الخارجي من أجل مصالحه ولو دمّر شعبه وقضيته. وهذه هي العلّة الحقيقية في الساحة الفلسطينية.

■ **وماذا عن أحداث حزيران/يونيو 2007 في غزة؟**

□ قبل أن أتكلم على حزيران/يونيو 2007 أود أن أذكّر بما فعلت "حماس" بعد وفاة ياسر عرفات، في مرحلة محمود عباس. "حماس" تصرفت بمنتهى الحكمة ومنتهى الواقعية. أراد السيد محمود عباس مع بداية حكمه في مطلع سنة 2005 ألاّ يدخل في إشكال مع المطالب والضغوط الأميركية والإسرائيلية التي كانت تدعوه إلى أن يقوم بما لم يقم به ياسر عرفات من نزع السلاح ومواجهة الأجنحة العسكرية وفصائل المقاومة. نحن تجاوبنا مع السيد محمود عباس من أجل الوصول إلى حالة تهدئة، وكانت أحادية الجانب، مع أننا نعلم أن إسرائيل لن تعطي شيئاً. نحن لا نثق بالإسرائيليين، لكن الدافع الأساسي للتهدئة كان تجنيب الوضع الفلسطيني الاحتكاك الداخلي. أعطينا محمود عباس الكرة كي لا تكون في ملعبنا بل في الملعب الآخر، وكي لا يقول أحد إننا كنا سبباً في تفويت الفرص. أعطيناهم تهدئة لعام كامل. وقبلاً كنا في سنة 2003 فعلنا الشيء نفسه عندما كان محمود عباس رئيساً للوزراء. كان عدد الأسرى حينذاك ثمانية آلاف، ثم زاد العدد إلى اثني عشر ألفاً ولم تفرج إسرائيل عنهم. وعلى صعيد الموقف السياسي والواقع على الأرض، إسرائيل لم تفعل شيئاً جديداً إيجابياً، على الرغم من تغييب ياسر عرفات الذي اعتبروه عقبة، بل زاد الأمر سوءاً.

توصلنا في القاهرة في سنة 2005 إلى اتفاق تضمّن حقوق الشعب الفلسطيني وسقفنا السياسي وما هي حقوقنا، وتكلمنا فيه على ترتيب البيت الفلسطيني سواء في موضوع الانتخابات، أي المجلس التشريعي، أو في موضوع منظمة التحرير. وبالتالي نحن تصرفنا مع القوى الفلسطينية بحكمة. "حماس"، حتى قبل أن تشارك في الانتخابات، تصرفت بحكمة. لكن لا التهدئة احتُرمت، ولا التوافق الفلسطيني احتُرم، ولا احتُرمت النتائج الديمقراطية لسنة 2006.

■ **هل توقعتم أن تكون ردة الفعل الدولية على فوزكم في الانتخابات على هذا النحو من الشدة؟**

□ لا أستطيع أن أزعم أننا توقعنا كل شيء. لكن بالتأكيد لم أكن أتوقع هذه الدرجة من ردة الفعل الأميركية والدولية، فقد تجاوزت جميع القيم والأعراف. أقول إن الدول الغربية، في مجملها أو كثير منها، انقلبت على قيمها.

■ **وصلنا إلى حزيران/يونيو 2007 وأحداث غزة واستيلاء "حماس" على المؤسسات في القطاع والانقسام بين السلطتين، ولنقل بين الضفة والقطاع. كيف تفسّر ما جرى؟**

□ أحداث حزيران/يونيو 2007 كانت نتيجة حتمية ومؤسفة للأحداث التي سبقتها. لقد غضبت الولايات المتحدة من نتائج الانتخابات الفلسطينية في مطلع سنة 2006، فاشتغلت على الانقلاب عليها. بقيت تشتغل وتضغط على أطراف في الساحة الفلسطينية عبر الجنرال دايتون، والتفصيلات باتت معروفة. كانت التقديرات الأميركية وتقديرات بعض الأطراف الإقليمية والفلسطينية أن سنة 2006 لن تنتهي إلاّ وتكون تجربة "حماس" قد سقطت، بمعنى أن التجربة ستنقلب على رأس "حماس"، ويشعر الشعب الفلسطيني أن فوزها كان وبالاً عليه. فبدأ الحصار والتجويع وقطع الرواتب تحت وهم التوقع أن الشعب سيثور ضد "حماس". كما أنهم بعد فترة دعوا إلى انتخابات مبكرة. تخيل، الانتخابات جرت في كانون الأول/يناير 2006 والدعوة إلى الانتخابات المبكرة أتت في تموز/يوليو من العام نفسه! إذاً ثمة نيات مبيتة. جوعوا الشعب ثم طالبوا بانتخابات مبكرة، كي ينقلبوا على التجربة الديمقراطية باللعبة الديمقراطية وبانتخابات مبكرة.

عندما فشل هذا الأمر وتم امتصاصه عبر وثيقة الوفاق الوطني في سنة 2006، انزعجت أميركا فلجأت إلى دفع الأجهزة الأمنية الفلسطينية، بتأييد من أطراف إقليمية وعبر خطة دايتون، إلى المواجهة الأمنية العسكرية. فبدأت الساحة الفلسطينية منذ نهاية صيف سنة 2006 تدخل في موجات من التقاتل الداخلي. كانت غزة هي المسرح الأساسي. وظلت هذه الحالة قائمة إلى أن ذهبنا إلى مكة في مطلع سنة 2007. حاولنا خلال الفترة التي سبقت، أن نعالج الوضع، فلم ننجح. جاءت المبادرة السعودية لعقد اتفاق بعيداً عن الأميركيين، ففوجئ هؤلاء بها. تجاوبنا مع المبادرة السعودية كي نحقن الدم الفلسطيني، لكن اتفاق مكة لم يرض أطرافاً معينة في المنطقة وفي الساحة الفلسطينية. لذلك بدأ العمل على الانقلاب عليه، وبعد نحو شهر من إنجازه وتأليف حكومة الوحدة الوطنية عادت

الاشتباكات من جديد. وتوفّر لدينا معلومات في ذلك الوقت بأن الأوامر أمهلت ذلك الفريق ثلاثة أشهر كي يحسم المعركة. وتم تدريب أشخاص معينين في بلاد عربية وغير عربية وأمدوهم بالمال وبالسلاح وبدأوا يصعّدون المعركة. ولم يكن أمام "حماس"، وهي جزء من السلطة وعلى رأس حكومة الوحدة الوطنية، وتملك الأغلبية في المجلس التشريعي، إلاّ أن تدافع عن شرعيتها. البعض يقول إن "حماس" انقلبت. كيف؟ الإنسان ينقلب على غيره، لا على نفسه! "حماس" ليست معارضة كي تنقلب على السلطة، "حماس" في السلطة، هي جزء من السلطة وليست كلها، هي شريكة في السلطة، و"حماس" في البرلمان لها أغلبية. نحن دافعنا عن شرعيتنا.

■ **ألم تكن السيطرة على غزة هي الهدف؟**

□ لا. لا. لم يكن هدفنا أن نسيطر على غزة. نحن واجهنا مؤامرة كبيرة، استمرت حتى بعد اتفاق مكة، بدليل أن الحصار الاقتصادي لم يتوقف. والدعم العربي والدولي لم يأت إلاّ من دول معينة أرسلت حصتها في دعم السلطة الفلسطينية. الجزائر وقطر والسعودية وسورية وبعض الدول أرسلت الأموال المطلوبة منها. والدول الأُخرى تأخرت وبالتالي لم يشعر الشعب الفلسطيني، حتى بعد اتفاق مكة، بأن هذا الحصار انزاح عنه. ولذلك كان لا بد من أن ندافع عن أنفسنا في مواجهة الأجهزة الأمنية الفاسدة التي كانت تطبق الأجندة الأميركية – الإسرائيلية، فانهارت الأجهزة.

■ **هل فوجئتم بسرعة انهيارها؟**

□ طبعاً فوجئنا. وهم كذلك. لأن كثيرين منهم لم يكن لديهم رسالة حقيقية، وقد هربت القيادات. فانهاروا بسرعة.

■ **صدامات حزيران/يونيو 2007 سببت انقسامات داخل حركة "حماس". وقيل إنك لم تظهر في وسائل الإعلام لأربع وعشرين ساعة أو أكثر لهذا السبب، وإن خلافات بين دمشق وغزة قد نشبت جراء ذلك. ما صحة ذلك؟**

□ الشائعات في الساحة الفلسطينية كثيرة. لا شك في أن حالة الانقسام صعبة، ولا أحد يقبلها، لكنها فرضت علينا فرضاً. "حماس" لديها مؤسسة قيادية، تتنوع فيها الآراء، لكن الجميع يحترم في النهاية رأي المؤسسة، وليس صحيحاً أن ما جرى أثار خلافات أو انقسامات أو نزاعات داخل الحركة. أنا كنت أول من خرج في مؤتمر صحافي في 14 حزيران/يونيو هنا في دمشق لأتكلم على الحالة، ووضعتها في سياقها الموضوعي. وقلت في المؤتمر إن أخطاء فردية حدثت، وهي ليست في أصل الموضوع، ومثلها يحدث في أي جيش، وفي أي مجموعة بشرية. لكن لم نخطئ عندما دافعنا عن أنفسنا، لم نخطئ حين دافعنا عن شرعيتنا أمام الفاسدين وأمام الانقلابيين وأمام من لجأوا إلى الأجندة الأميركية والإسرائيلية للانقلاب على نتائج الانتخابات الفلسطينية. هؤلاء الانقلابيون الفاسدون الذين هربوا إلى رام الله بدأوا بعد اتفاق مكة يمارسون دورهم في التخريب الأمني في غزة عبر التفجيرات ومحاولة الاغتيالات، ومنها محاولة اغتيال الأخ إسماعيل هنية، وراهنوا على أن يؤدي هذا بالشعب الغزي الواقع تحت الحصار والتجويع والفوضى الأمنية إلى الانقلاب على "حماس"، وأيضاً راهنوا على الهرولة إلى المفاوضات، واعتقدوا أنه سيكون هناك اختراق في المفاوضات يمنح رئيس السلطة إنجازاً سياسياً يقويه أمام الشعب ويحاصر به "حماس". وكان عنوان ذلك هو "أنابوليس". فلمّا فشل ذلك كله وانتهت سنة 2007، أي مضت ستة أشهر و"حماس" ما زالت صامدة، والشعب لم يثر ولم ينقلب عليها، راهنوا على التصعيد العسكري الإسرائيلي الذي بدأ بالذات في تلك السنة.

مهما يكن الأمر، فنحن نرى أن الذي فجّر الوضع الفلسطيني هو الخلل الأمني. رؤيتنا باختصار في هذا المجال، هي العمل على إعادة بناء الأجهزة الأمنية الفلسطينية على أسس مهنية ووطنية بعيداً عن المحاصصة الفصائلية. لا نريد أجهزة حزبية، نريد أمناً فلسطينياً يقوم بمهماته لمصلحة الشعب الفلسطيني وأمنه بعد أن نتوافق على إعادة بنائه.

وقلت للعرب إننا مستعدون أن نقبل أي دعم ومساعدة عربية لإنجاز هذا الأمر، لأن الموضوع الأمني هو الذي فجّر الأزمة. أن يكون عندنا أمن فاسد ويشرعن الفساد والفوضى وينقلب على السياسة الفلسطينية وعلى النظام السياسي الفلسطيني وعلى الانتخابات وعلى الحكومة، ويكون نقطة ارتكاز للتدخل الأميركي الإسرائيلي الأجنبي بالمال والسلاح، هذا غير مقبول.

■ **إعادة بناء الأجهزة الأمنية بالتوافق بين "فتح" و"حماس"؟**

□ طبعاً. ليس بين "حماس" و"فتح" فقط، بل بين جميع القوى الوطنية.

■ **هل تكفي الموافقة على وزير داخلية مثلاً؟**

□ هذا لا يكفي، لأننا توافقنا على وزير للداخلية في اتفاق مكة وأرادوا أن يكون مستقلاً. وجاء الوزير وأصبح بلا حول ولا قوة، واضطر إلى أن يستقيل بعد شهر. إن أمراء الحرب هم الذين كانوا يتحكمون بكل شيء، لذلك لا بد من أن نتفق على كل شيء، ومن باب أولى على الأجهزة الأمنية لنحصرها في أجهزة محددة، ونحدد وظائفها ومهماتها وصلاحياتها وأدوارها ومسؤولياتها، ونحدد تشكيلاتها ومن المسؤول، وما إلى ذلك.

■ **نلاحظ أن إنجازات السلطة الأمنية في الضفة، وخصوصاً في نابلس، تحسنت بشكل واضح.**

□ لا يوجد تحسن. هذا لا نعتبره تحسناً. صحيح أن السلطة اهتمت بالترتيبات الأمنية ومنعت بعض فوضى البلطجية، لكنها، في الوقت نفسه، لاحقت المناضلين ونزعت السلاح منهم واعتقلت الناس وآذتهم وتعاونت مع إسرائيل ضد الشعب وقتلت الناس في السجون مثل الشيخ مجدي البرغوثي. هذا ليس أمناً. حكم فياض في الضفة الغربية ليس أمناً فلسطينياً، هذا أمن مرتبط بالأولويات الإسرائيلية والأميركية. مسموح له فقط أن يتعاون أمنياً مع إسرائيل، لا أن يعمل على إيجاد أمن وطني حقيقي.

■ **لنتحدث عن عملية ديمونا. هذه أول عملية تبنتها "حماس" منذ أكثر من سنة. ما هي الاعتبارات التي جعلت قيادة "حماس" تتخذ قرار استئناف العمليات ضد إسرائيل؟ وما الهدف من ذلك؟ فرض وقف إطلاق نار على إسرائيل مثلاً؟**

□ لا. لا. أتمنى على كل من يتابع الحالة الفلسطينية ألاّ يذهب بعيداً في محاولته قراءة ما يجري. ببساطة: ما دام هناك احتلال، فمن الطبيعي أن يكون هناك مقاومة. الضفة الغربية محتلة، وهناك 12.000 معتقل في سجون إسرائيل. الضفة الغربية مستنزفة بالاحتلال ثم بالتنسيق الأمني الفلسطيني – الإسرائيلي. والمقاومة تعبّر عن نفسها كلما أتيحت لها الفرصة. ولا ينطلق ذلك من غايات سياسية، بل إنني ما دمت أعيش تحت الاحتلال فمن حقي مقاومته. أمّا العمليات العسكرية فمتروكة للناشطين والمجاهدين في الميدان.

■ **ألا يحتاج ذلك إلى قرار سياسي؟**

□ لا، العمليات ليست خاضعة لاعتبارات سياسية أو توظيفات سياسية. هي مرتبطة بأوضاع الميدان. إن من يراهن على أن القمع يقتل المقاومة هو مخطئ. قد يحشر القمع والضغط الشديد المقاومة، أو يغيبها بعض الوقت، لكن في النهاية ما لم يشعر الشعب الفلسطيني بأنه أمام أفق سياسي، وبأن أمامه فرصة حقيقية للوصول إلى الحرية والتخلص من الاحتلال، فلن يجد أمامه إلاّ المقاومة. المقاومة هي السلوك الطبيعي لأي شعب تحت الاحتلال.

الحل الممكن

■ **ما هي رؤيتك لحل للصراع الفلسطيني – الإسرائيلي والعربي – الإسرائيلي؟**

□ هناك فرصة للتعامل مع هذا الصراع بغير المنحى الذي تتعامل معه اليوم إسرائيل والإدارة الأميركية. هناك فرصة للتوافق الوطني الفلسطيني على برنامج حدود 1967. "حماس" من خلال وثيقة الوفاق الوطني – التي تشكل نقطة تقاطع بين البرامج السياسية في الساحة الفلسطينية – قبلت بدولة في حدود 1967، أي بالانسحاب الإسرائيلي إلى خطوط الرابع من حزيران/يونيو 1967 بما فيها القدس، وبحق العودة للاجئين والنازحين إلى أرضهم وديارهم، وبسيادة كاملة على أراضي 1967 ومن دون استيطان. وثمة توافق عربي على هذا المطلب، وهذه فرصة استثنائية وتاريخية، لكن لا أحد يستغلها. هذا أمر جرى التوافق عليه في اتفاق القاهرة تقريباً في سنة 2005، ونصت عليه وثيقة 2006، وكذلك اتفاق مكة. لكن، حتى هذا الحد الذي قبل به الفلسطينيون والعرب لا تقبله إسرائيل وأميركا، ويريدون أن نقبل بأقل من ذلك. وإذا ما ضاعت هذه الفرصة فإن الطرف الخاسر هو الطرف الإسرائيلي – الأميركي، لأن الزمن لا يعمل لمصلحتهم. أمّا من يظن أنه يستطيع أن ينهي الصراع وأن يوفر الهدوء

والأمن والاستقرار في المنطقة على حساب الحقوق الفلسطينية والعربية فهو واهم. الشعب الفلسطيني والأمة العربية على الرغم من حالة الانقسام والضعف قادران على الصمود أمام العدوان الإسرائيلي وأمام الانحياز الأميركي الظالم. وثبت أن الولايات المتحدة وإسرائيل مع تفوقهما لا يستطيعان أن يفرضا جدول أعمالهما كما يشاءا، فهما فشلا في العراق وفي لبنان، وسيفشلان في فلسطين. لديهما ممر إجباري وحيد وهو أن يسلّما بالحقوق الفلسطينية والعربية. ■

(*) رفعت "فتح" شعار "اللقاء في أرض المعركة" حيال الاختلافات السياسية والفكرية التي تصاعدت في نهاية الستينيات. (المحرر)

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي: majallat@palestine-studies.org
يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:
http://www.palestine-studies.org/ar_index.aspx